مَنَاهِجُ المُفَسِّرِينَ

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِهِ البَارِي

عرفة بن طنطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِرَاسَاتِ الإسلامية

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

أُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرآنِ لِلدِّرَاسَاتِ الْعُلِيَا

بالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءَ "بِمِينِيسُوتَا"

الرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرآنِية

١٤٤٤ هـ

من إصدارات

https://taaselcenter.com
arafatantawy1440@gmail.com
+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية

مَنَاهِجُ المُفَسِّرِينَ

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عرفة بن طنطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالجَامِعَةِ الإِسْلامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

حقوق النشر محفوظة، ولا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يُمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف

شبكة الألوكة www.alukah.net

تنبيه...

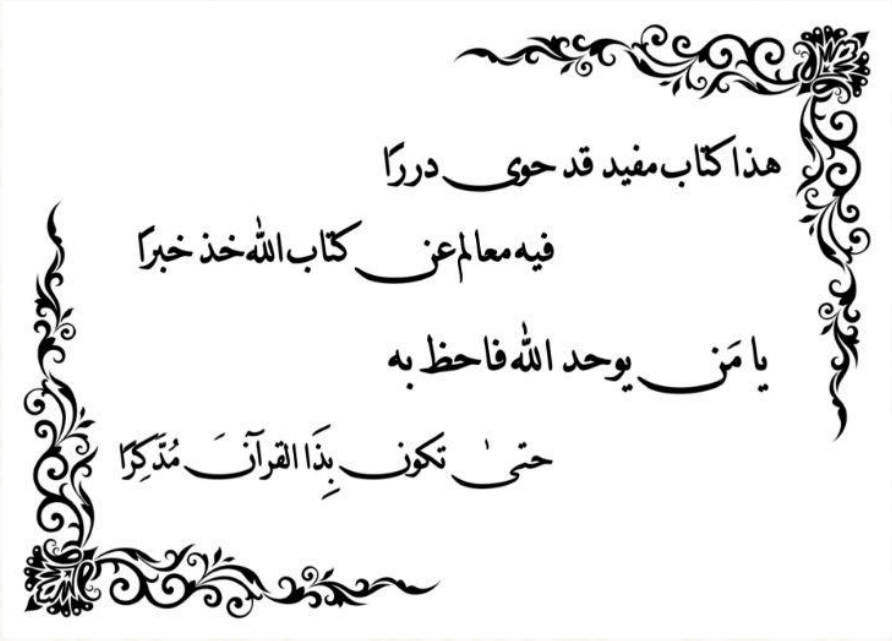

شبكة الألوكة www.alukah.net

ديباجة الكتاب

الحمد لله ذي العزة والجلال والكبرياء، له العظمة والرفعة والعلو المطلق وهو مستو على عرشه فوق السماء، له المجد والثناء، تعالى سبحانه عن الأشباه وتنزه عن النظراء، وتقدس عن الأنداد والأمثال والشركاء.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، سبحانه مالك الملوك والأملاك، ورب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق آدم من تراب، أنزل على عبده الكتاب، هدى وذكرى لأولي الألباب، أودعه علومًا نافعة، وبراهين ساطعة،وحجج دامغة قاطعة، وجعله غاية في الحكمة وفصل الخطاب، خصه بخصائص جلية علية، ولطائف عظيمة ربانية، حتى وصفته الجن لما سمعته بأنه عجب عجاب. جعله غاية في البيان حتى أعجز الإنس والجان، وخضع لفصاحته أرباب اللسان، بما تضمنه من فصاحة، وبراعة استهلال، وحسن نظم، وروعة بلاغة وبيان،وقوة وسلامة إعراب، وصحة إغراب، ويسر حفظه في الصدور، وتولى حفظه في السطور،فسلم من التحريف والتغيير والتبديل مع تعاقب السنين والدهور، وتوالي الأحقاب، جعله معجزة باقية لمن عاين التنزيل، ولكل من وُجِه إليه الخطاب، وجهله شافعًا مشفعًا لكل مؤمن منيب أواب، وحجة على كل شاك جاحد كافر مرتاب. وجعل أهل القرآن خيرته من خلقه وصفوته من عباده الذين هم أهل الله وخاصته، وجعل لهم حسن العاقبة والمنقلب وطيب المرجع والمآب.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب، صلاة تامة كاملة لا شك فيها ولا ارتياب.

أما بعد:

شبكة الألوكة www.alukah.net

فنحمد الله تعالى على أن شرع لنا دينًا قويمًا، وهدانا صراطًا مستقيمًا، وأنزل علينا كتابًا مبينًا، تكلم بهتكليمًا، وأنزله على عبد تنزيلًا، وأرسله به ليكون للعالمين نذيرًا، تحدى بفصحاء العرب العرباء، فلم يجد منهم به خبيرًا ولا بصيرًا، وتحدى به الإنس والجن وأخبر أنهم لن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ثم بين فيه لعباده ما فيه صلاح معاشهم ومعادهم، وأُولاهم وأُخراهم ليدبروا آياته وليتذكروا بها تذكيرًا، وسهل لأولى الألباب فهم آياته المحكمات وأمرهم أن يتفكروا فيها تفكيرًا، وخص أولي العلم منهمبفهم المتشابهات فيسرها لهم تيسيرًا، وبين لهم فيه معالم التوحيد، كما حذرهم من الشرك والتنديد، وضع لهم فيه شعائر الإسلام العظام وأسس وقواعد الأحكام وبين لهم فيه حدود الحلال والحرام وقررها لهم تقريرًا، ليأتمروا بأمره وينتهوا عن نواهيه، وذكر لهم فيه مواعظ وقصص وأخبار وزواجر للاتعاظ والاعتبار وخوفهم بها وحذرهم تحذيرًا، وزهدهم في هذه الدار ورغبهم في العمل للآخرة دار القرار ورغبهم فيها وقرر لهم ذلك تقريرًا، كل ذلك ليذهب عنهم رجس الذنوب والآثام ويطهرهم به تطهيرًا، وجعله ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ليرفعه به ويكسوه سندسًا وحريرًا، ومن أعرض عنه وأغلق دونه مسامع قلبه أصابته حسرة في الدنيا ويعيش بين الخلق ذليلًا كسيرًا، مع ما أعده له في الآخرة من العذاب والنكال وسيصلي سعيرًا.

فسبحانه من إله عظيم حليم، ورب رحيم كريم، خصنا بإنزال كتابه، وشرفنا بجميل خطابه، فيالها من نعمة سابغة علية، وحجة بالغة وفية، امتن بها علينا رب الخليقة والبرية، نسأله سبحانه الإعانة على القيام بواجب شكرها،ومعرفة حقها وتوفية مستحقها، ومعرفة فضلها وتقديرها قدرِها، وما توفيقي إلا بالله هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب، وإليه المرجع والمآب.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ونختم بحمد الله الذي افتتح به الخطاب، ونصليونسلم على سيد ولد آدم المصطفى المختار من أشرف الأحساب وأطهر وأعلى الأنساب الذي وصفه الله بقوله فيما أنزل قبله من كتاب(١):

"يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا". (٢)

أيده ربه بخوارق المعجزات المخالفات والمغايرات والخارقات للعادات الظاهرة، وجمع له بين شرف الدنيا وعز الآخرة، وجعله قائدا للغر المحجلين والوجوه الناضرة وأيده بخير أصحاب وجعلهم نجومًا زاهرة، وسيوفًا باترة للحق ناصرة، ولأعداء الملة قاهرة وخصه بالمقام المحمود يوم المآب،فهو أول يقرع الباب،ويدخل الجنة بغير حساب، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، وأزواجه الطاهِرات المُطَهَّرات، الطَيِّبَات المُطَيَّبَات، البَريئات المُبَرَّءَات أمَّهاتِ المؤمِنِينَ، صلاة زاكية نامية إلى يوم الدين، لا يحصرها عد، ولا يبلغها مد، ولا يحد حد ولا حساب، ولا يبلغ عددها العادون والحُساب، ولا تحصرهاأقلام أسرع الكُتاب، ولا أبلغ البلغاء من أولي الألباب. وسلم اللهم تسليمًا كثيرًا كثيرًا إلى يوم المرجع والمآب.

---

[١]-الكتاب هو: التوراة

[٢]-يُنظر: صحيح البخاري،كتاب تفسير القرآن، سورة الفتح، باب إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، برقم: (٤٥٨٨)

شبكة الألوكة www.alukah.net

تمهيد

بيان معنى التفسير لغة واصطلاحا

وفيه: مبحثان.

المبحث الأول: معنى التفسير لغة:

التفسير لغة: الشرح والبيان. وفسّر الشيء: وضحه وأبانه، وفسّر آيات القرآن الكريم: شرحها، ووضح ما تنطوي عليه من معان وأسرار وأحكام. (٣)

قال تعالى: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا) (الفرقان:٣٣) أي بيانًا وتفصيلًا. (٤) وهو مأخوذ من الفسر وهو البيان والكشف.

قال ابن منظور في لسان العرب:

الفَسرُ: البيان، فسر الشيء يفسِره-بالكسر-ويفسُره-بالضم-وفَسَرَهُ: أبانه، والتفسير مثله.... والفسُر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل". (٥)

وقال أبو حيان في البحر المحيط:

ويطلق التفسير أيضًا على التعرية للانطلاق، قال ثعلب: تقول: فَسَرتُ الفرسَ: عريتُه لينطلق في حصره، وهو راجع لمعنى الكشف، فكأنه كشف ظهره لهذا الذي يريده من الجري. (٦).

وعلى ذلك: فالمادة تدور حول معنيين: (٧)

٣-المعجم الوسيط، (٢/ ٦٨٨).

٤-وهذا المعنى بهذا اللفظ، وقريب منه أيضًا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف: منهم: مجاهد، والضحاك، وابن جريج. وللاستزادة: يُنظر: تفسير الطبري: (٢٦٨/١٩).

٥- لسان العرب لابن منظور الإفريقي: مادة: "فسر".

٦-البحر المحيط: (١٣/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المعنى الأول: الكشف المادي المحسوس

والمعنى الثاني: الكشف المعنوي المكشوف

المبحث الثاني: بيان معنى التفسيراصطلاحًا:

عرفه الزركشي بأنه:

علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمهواستمداد ذلك من عِلْم اللغة، والنحو والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفِقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسِخ والمنسوخ. (٨)

وعرفه الزرقاني بأنه:

علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية. (٩)

ولأول وهلة في هذين التعريفين الآخرين يظن أن علم القراءات وعلم الرسم لا يدخلان في علم التفسير. والحق أنهما داخلان في علم التفسير، وذلك لأن المعنى يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات، كقراءة (وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) (الإنسان:٢٠)

٧-التفسير: معالم حياته. منهجه اليوم أمين الخولي: (ص:٥)، التفسير والمفسرون للذهبي: (١٥/١)، الاتقان للسيوطي: (٢٩٤/٢)، تفسير البغوي: (١٨/١)، واللسان: مادة: "فسر".

٨- يُنظر: المرجع السابق: (١١/١)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: (٤٦٢/٤)، البرهان في علوم القرآن؛ لبدر الدين الزركشي: (١ /١٣).

٩- مناع خليل القطان، مباحث في علوم القرآن، (ص: ٣٢٤)؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (٢/ ١٤٨)

شبكة الألوكة www.alukah.net

بفتح الميم وكسر اللام. (١٠) بضم الميم وتسكين اللام. فإن معناها مغاير لقراءة من قرأ

وعرفه بعضهم بأنه:

علم نزول الآيات، وشؤونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكِّيِّها ومَدَنِيِّهَا، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها. (١١)

وهذه التعريفات تتفق كلها على أن علم التفسير علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية؛ فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد. (١٢)

وسمي علمُ التفسير، لما فيه من الكشف والتبيين. واختص بهذا الاسم دون بقية العلوم، مع أنها كلها مشتملة على الكشف والتبيين، لجلالة قدره واحتياجه إلى زيادة الاستعداد وقصده إلى تبيين مراد الله من كلامه كأنه هو التفسير وحده دون ما عداه. (١٣)

وعرّفه محمد الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره بقوله: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه وما يستنبط منه" (١٤).

ويرى بعض العلماء:

---

[١٠]-محمود سالم عبيدات، دراسات في علوم القرآن:(ص: ٢٣٨)

[١١]-السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، المصدر السابق، (٤/ ٤٦٢)؛ محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، المرجع السابق، (١/ ١١).

[١٢]-والمفسرون، المرجع السابق نفسه، (١/ ١١).

[١٣]- الزرقاني-مناهل العرفان: (١٠/٢)

[١٤]-يُنظر: مقدمة "تفسير التحرير والتنوير" لـ محمد الطاهر بن عاشور.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"أن التفسير ليس من العلوم التي يتكلف لها حد، لأنه ليس قواعد أو ملكات ناشئة من مزاولة القواعد كغيره من العلوم التي أمكن لها أن تشبه العلوم العقلية، ويكتفي في إيضاح التفسير بأنه بيان كلام الله أو أنه المبين لألفاظ القرآن ومفهوماتها". (١٥)

وهناك مصنفات في التفسير سار مصنفوها على قواعد وأصول التفسير، فأضحت مؤلفاتهم في التفسير منهجًا تطبيقيًا مؤصلًا لأصول وقواعد التفسير، ومن هؤلاء الأعلام:

١-الإمام الطبري في تفسيره" جامع البيان"

٢-وابن عطية الأندلسي: في كتابه: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"

٣-والشنقيطي: في كتابه: "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" ومصنفه هو: محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: (ت:١٣٩٣هـ).

هذا مع ما ضمَّنه بعض مصنفي كتب علوم القرآن، وكتب أصول التفسير في كتبهم ومصنفاتهمالتيعقدوا فيها فصولاً في قواعد التفسير، كما فعل ذلك بدر الدين الزركشي في البرهان (٧٩٤هـ)، وكما فعل ذلك أيضًا جلال الدين السيوطي في الإتقان (٩١١هـ).

وإتمامًا للفائدة نذكر بعضًا من مصادر علم التّفسير المبثوثة في بعض المصنفات، ونشير إلى أهمها، لمن أراد الاستزادة والتوسع والإفادة، نذكرها إجمالًا وتفصيلًا

أما ذكرها إجمالًا فهي مقدمة كل من:

١-"جامع البيان عن تأويل آي القرآن": لشيخ المفسرين الإمام الطّبريّ.

٢-"النكت والعيون" للماوردي.

٣-"المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي.

---

[١٥]-محمد حسن الذهبي، التفسير والمفسرون:(١/١٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٤-التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ الكلبي.

٥-"البحر المحيط في التفسير". لأبي حيّان الغرناطي الأندلسي.

٦-"تفسير القرآن العظيم" للحافظ ابن كثير.

٧-محاسن التأويل لجمال الدين لقاسمي

٨-التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

شبكة الألوكة www.alukah.net

التعريف بكتب التفسير التي صُدِّرت بقواعد وأصول التفسير وبمصنفيها ومناهجهم وقواعدهم التي ساروا عليها تفصيلًا:

الأول: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن": لشيخ المفسرين الإمام الطّبريّ:

والإمام الطّبريّ هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبري: (ت: ٣١٠ هـ)

تفسيره ومكانته

يقول الواحدي في التفسير البسيط:

يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان فى الوقت نفسه يُعتبر مرجعًا غير قليل الأهمية من مراجع التفسير العقلي، نظرًا لما فيه من الاستنباط، وتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، ترجيحًا يعتمد على النظر العقلي، والبحث الحر الدقيق.

ثم يقول:

ولو أننا تتبعنا ما قاله العلماء فى تفسير ابن جرير، لوجدنا أن الباحثين فى الشرق والغرب قد أجمعوا الحكم على عظيم قيمته، واتفقوا على أنه مرجع لا غِنَى عنه لطالب التفسير.

هذا ونستطيع أن نقول إن تفسير ابن جرير هو التفسير الذي له الأوَّلية بين كتب التفسير، أوَّلية زمنية، وأوَّلية من ناحية الفن والصناعة.

أما أوَّليته الزمنية: فلأنه أقدم كتاب فى التفسير وصل إلينا، وما سبقه من المحاولات التفسيرية ذهبت بمرور الزمن، ولم يصل إلينا شيء منها، اللَّهم إلا ما وصل إلينا منها فى ثنايا ذلك الكتاب الخالد الذى نحن بصدده.

وأما أوَّليته من ناحية الفن والصناعة: فذلك أمر يرجع إلى ما يمتاز به الكتاب

شبكة الألوكة www.alukah.net

من الطريقة البديعة التي سلكها فيه مؤلفه، حتى أخرجه للناس كتاباً له قيمته ومكانته. ([16])

منهجه في التفسير

يعتبر تفسير الطبري أقدم التفاسير وأشهرها، فقد نّوّه به العلماء قديمًا وحديثًا، لما اجتمع فيه من تفسير بالمأثور وحسن الاستنباط وسعة الثقافة والمقدرة على الترجيح، فهو أوّل التفاسير بالاعتبار. ([17])

ولم يُقدِم الطبري على تفسير كتاب الله تعالى إلا بعد نضوج الفكر، واكتمال العقل، وتحصيل العلوم، والتزود بآلات التفسير ووسائله، ولم يكن ليفسِّر القرآن بمجرد الهوى والتَّشهِّي والرأي، بل سار على منهج واضح وخطة حكيمة، وفوق ذلك فقد رسم الخطوط العريضة لتفسير القرآن الكريم، ووضع القواعد الصحيحة، واستنَّ القوانين الحكيمة، ووضع السياج الأمين للحفاظ على مقاصد الشريعة.

وقد قدَّم الطبري مقدمة مستفيضة لكتابه، تحتوي أصول التفسير في الإسلام؛ ليلتزم بها بنفسه، ويرسم الطريق لمن يأتي بعده، ويحدد الحدود لتناول كتاب الله تعالى؛ وقد عرض منهجه بإيجاز، بعد أن بيَّن فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمعجزات، وفضل الله على هذه الأمة بحفظ كتابها ومعجزة نبيها، ثم بين فضل العناية بكتاب الله، ثم قال:

"ونحن في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانٍ مُنشِئون كتابًا مستوعبًا، لكل ما بالنَّاس إليه الحاجة من علمه جامعًا، ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافيًا، ومخبرون في كل ذلك، بما انتهى إلينا من اتفاق الحُجَّة فيما اتفقت عليه الأمة، واختلافها فيما اختلفت فيه منه، ومبينو عِلَلَ كلِّ مذهب من مذاهبهم، وموضحو

---

[16]-التفسير البسيط للواحدي: (١/١٥٦-١٥٩)

[17]-صالح صبحي: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين بيروت ط ٦ تشرين الأول ١٩٦٩م ص ٢٩٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه" ([١٨])، ثم شرع الطبري بتفصيل منهجه في أصول التفسير مع ذكر الأدلة الشرعية واللغوية، وضرب الأمثلة العملية من القرآن الكريم والسنة وكلام العرب واللغة والشِّعر ([١٩]).

وتفسير الطبري ذو منهج خاص، يذكر فيه الآية أو الآيات من القرآن، ثم يعقبها بذكر أشهر الأقوال التي أثرت عن الصحابة والتابعين في تفسيرها، ثم يورد بعد ذلك رواياتٍ أخرى متفاوتة الدرجة في الثقة والقوة في الآية كلِّها أو بعض أجزائها، بناءً على خلافٍ في القراءة، أو اختلافٍ في التأويل، ثم يعقب كل ذلك بالترجيح بين الروايات، واختيار أولاها بالتقدمة، وأحقها بالإيثار، ثم ينتقل إلى آية أخرى، فينهج نفس النهج عارضًا ثم ناقدًا ثم مرجحًا؛ وهو إذ ينقد أو يرجح، يرد النقد أو الترجيح إلى مقاييس تاريخية من حال رجال السند في القوة والضعف، أو إلى مقاييس علمية وفنية: من الاحتكام إلى اللغة التي نزل فيها الكتاب، نصوصها وأقوال شعرائها، ومن نقد القراءة وتوثيقها أو تضعيفها، ومن رجوع إلى ما تقرَّر بين العلماء من أصول العقائد، أو أصول الأحكام أو غيرهما من ضروب المعارف التي أحاط بها ابن جرير، وجمع فيها مادة لم تجتمع لكثير من غيره من كبار علماء عصره "([٢٠]).

وبعد أن بين الطبري ذلك وضع قواعد التفسير، وأصول التأويل، وحذَّر من التفسير بالرأي، والتلاعب في كلام الله تعالى بحسب الأهواء والأغراض، وأورد الأحاديث الكثيرة بأسانيدها في تحريم ذلك، وتجنَّب التفسير بالرأي المجرد، وقال:

---

[١٨]-الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن ١/٥.

[١٩]-محمد الزحيلي: الإمام الطبري ص١٢٠.

[٢٠]-يُنظر: كلمة (الناشر) أ. محمد محمود الحلبي: الطبعة الثالثة، تفسير الطبري ١/٤.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"إن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابة موقن أو محق، وإنما هو إصابة خارص وظانّ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم، وقد حرَّم الله ذلك" ([٢١]).

ويلتزم الطبري بما اتفق عليه المسلمون في درجات التفسير؛ فيلجأ أولاً إلى تفسير القرآن بالقرآن، وتفسيره بالسُّنة البيانية وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يتبع ذلك بالآثار الواردة عن الصحابة رضوان الله عليهم، وعن التابعين. ([٢٢])

عقيدته:

الإمام الطبري علم من أعلام الإسلام، وسيد من سادات الأنام، وإمام من أئمة أهل السنة الكرام، المتبعين للسلف الصالح أهل الحديث-عقيدة ومنهاجًا، في عموم قضايا التوحيد، ولا سيما في إثبات صفات الرب جل في علاه وفي إثبات رؤية أهل الإيمان للرب سبحانه في الآخرة، وفي القدر، وفي أصول الإيمان ومايتبعه من مسائل، وفي القول والاعتقاد في الصحابة، والإمامة، ويُعد تفسيره من أهم مصادر التفسير بالمأثور عند أهل السنة والجماعة.

وقد أثنى عليه أهل العلم قديمًا وحديثًا ونسوق ونورد بعض أقوال أهل العلم في الثناء عليه.

ثناء العلماء عليه

اولًا: شيخ الإسلام ابن تيمية:

وشيخ الإسلام قد أشاد بعقيدة شيخ المفسرين في محض بيانه لقاعدة الاسم والمسمى من مجموع الفتاوى حيث يقول:

---

[٢١]- الطبري: جامع البيان في تأويل آي القرآن ١/ ٣٥.

[٢٢]- وللاستزادة: يُنظر: الطبري العالم الموسوعي-مقال لـ راغب السرجاني-عن موقع الإسلام.

شبكة الألوكة www.alukah.net

" ...كما ذكره أبو جعفر الطبري في الجزء الذي سماه "صريح السنة" ذكر مذهب أهل السنة في القران والرؤية ،والإيمان والقدر والصحابة وغير ذلك. وذكر أن مسألة اللفظ ليس لأحد من المتقدمين فيها كلام ؛كما قال لم نجد فيها كلامًا عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا إلا عمن في كلامه الشفاء والغناء، ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى أبو عبد الله أحمد بن حنبل فإنه كان يقول : اللفظية جهمية. ويقول: من قال لفظي بالقران مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع.

وذكر ان القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف فيها قول لأحد من الأئمة ...." ا.هـ ([٢٣])

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا:

وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري " فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي. ([٢٤])

ثانيًا: قال الخطيب البغدادي:

"كان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى آرائه لمعرفته وفضـــله وكان قد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره". ([٢٥])

ثالثًا: قال الذهبي:

الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة .....من كبار أئمة الإسلام المعتمدين. ([٢٦]).

---

[٢٣]-مجموع الفتاوى ١٨/٦

[٢٤]-مجموع الفتاوى ج١٣ ص٣٨٥

[٢٥]-تاريخ بغداد: (١٦٣/٢).

[٢٦]-ميزان الاعتدال: (٤٩٨/٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعًا: قال ابن كثير:

بل كان أحد أئمة الإسلام علمًا وعملًا بكتاب الله وسنة رسوله". ([٢٧])

خامسًا: قال ابن القيم

قول الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الإمام في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ واللغة والنحو والقران قال في كتاب صريح السنة ونقل كلامه وعده من جملة السلف الذي يرجع لأقوالهم في مسائل الاعتقاد. ([٢٨]).

سادسًا: قال أبو حامد الإسفراييني:

لو سافر رجل إلى الصِّين حتى يحصل على كتاب تفسير محمَّد بن جرير لم يكن ذلك كثيرًا. ([٢٩])

سابعًا: قال النووي

"أجمعت الأمة على أنه لم يُصنَّف مثل تفسير الطبري"([٣٠])

ثامنًا: قال السيوطي:

وكتابه -يعني تفسير محمد بن جرير-أجلُّ التفاسير وأعظمها، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعض، والإعراب، والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين".

تاسعًا: ومن المعاصرين العلامة الفقيه ابن حميد

لئلا أطيلَ بذكر ثنائه من أقوال العلماء -وهو كثير جدًّا -أختم بما قدَّمه بترجمته الشيخ الفقيه عبد الله بن حميد لكتابه (تهذيب الآثار) حيث قال رحمه الله:

---

[٢٧]-البداية والنهاية: (١١/١٤٦،١٤٥)

[٢٨]-اجتماع الجيوش الإسلامية: (ص:١٩٤)

[٢٩]- معجم الأدباء: (١٨/٤٢)

---

[٣٠]- النووي: تهذيب الأسماء ١/ ٧٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"...فكان من أثر ذلك تأليفُ المؤلَّفات الضخمة العديدة التي حوت على تراث نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم، من هؤلاء الجهابذة الأفذاذ الإمام أبو جعفر محمدُ بن جريرٍ الطبريُّ، فقد أجمع المسلمون على إمامته وجلالة قدره وسَعَة علمه، وألف في ذلك المؤلفات الكثيرة النافعة التي أثنى عليها أئمة العلماء، وذكروها ومؤلِّفَها بما هو أهل...، والإمام ابن جرير أشهر من أن يُذكَر وأَعرَفُ من أن يُنكَر (ثم شرع في نبذة يسيرة مختصرة عن حياته، ومما قال فيها): ...ما زال العلماء في زمانه وبعده يُثْنون عليه ويذكرون فضله وعلمه وزهده وتُقَاه، فقد كان -رحمه الله -عالمًا بتفسير القرآن، والحلال والحرام، وعالمًا بأخبار الناس وأيامهم، وهو من فضلاء الصالحين المتقين، شهد له أهل العلم بالفضل والتقَى؛ فقد كان إمامًا في التفسير والحديث والجرح والتعديل، وعالمًا بالأحكام وأصولها، وله أقوال واختيارات جيدة انفرد بها ". ([٣١])

[٣١]-ثناء العلماء على الإمام الطبري-مقال لعلي الشبل-عن موقع الألوكة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الثاني: "النكت والعيون" للماوردي

والماوردي هو: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ).

مكانة تفسيره:

ويعتبر تفسير الماوردي من أهم كتب التفسير، وقد اهتم به كثير ممن تأخرعنه كابن الجوزي في تفسيره زاد المسير، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن وغيرهما.

منهجه في التفسير:

هو تفسير كامل للقرآن، اقتصر فيه الماوردي على تفسير ما خفي من الآيات، أما الجلي الواضح فتركه لفهم القارئ.

وقد جمع فيه بين أقاويل السلف والخلف وأضاف إليه ما ظهر له من معنى محتمل ورتبه ترتيبًا بديعًا، يحصر الأقوال الكثيرة في عدد، ثم يفصلها الأول فالثاني فالثالث ... مع توجيه لبعض الأقوال وترجيح أحيانًا .. وقد اعتنى بالتفسيرات اللغوية، فيذكر أصول الكلمات ويوضحها بضرب الأمثال والاستشهاد عليها بالشعر ويربطها بالمعنى المراد من الآية في عبارة موجزة واضحة البيان.

ويمتاز هذا التفسير بجمعه للأقوال وتحليلاته اللغوية ومنهجه الدقيق وجمعه بين المأثور وذكر الوجوه من القراءات والأحكام الفقهية.

ويعتمد في القراءة على كتب القراءات المعروفة ككتاب القراءات لابن خالويه، وكتاب الحجة للفارسي، والمحتسب لابن جني وكتب القيسي والداني وأمثالهم.

وفي التفسير على جامع البيان للطبري، وهو من اهم مصادره.

شبكة الألوكة www.alukah.net

كما قد ينقل من تفسير مقاتل بن حيان وغيره.

وفي الأدب يستمد من كتب كثيرة ومتنوعة.

كما ويعتمد في الفقه على أقوال الشافعي ويشير الى سائر المذاهب أحيانًا ([٣٢])

عقيدته :

مع التحفظ بل والتنبيه على ما عند الماوردي من أشعرية، وبعض عقائد المعتزلة التي اتهم بها كذلك نقول:

قد اتهم بالاعتزال في بعض المسائل وليس على الإطلاق، وله كتاب موسوم بـ "الأحكام السلطانية" له فيه كلام في الإمامة العامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير مطابق ولا موافق لمنهج السلف.

وهاك بيان موجز لبعض من تكلم في الماوردي:

أولًا: هذا الإمام أبو عمرو بنُ الصلاح (ت٦٤٣هـ) يُوجه تُهمةَ الاعتزال للماورديِّ ويصف تفسيره بأنه: عظيمَ الضَّررِ، فيقول:

"هذا الماورديُّ-عفا الله عنه-يُتَّهمُ بالاعتزال، وقد كنتُ لا أتحققُ ذلك عليه، وأَتأولُ له، وأعتذرُ عنه في كونه يوردُ في الآيات التي يَختلفُ فيها أهلُ التفسير تفسيرَ أهلِ السنة، وتفسيرَ المعتزلة، غير متعرضٍ لبيانِ ما هو الحقُّ منها، وأقولُ: لعلَّ قصدهُ إيراد كل ما قيل من حقٍ أو باطل، ولهذا يورد من أقوال المشبِّهة أشياء مثل هذا الإيراد، حتى وجدته يختارُ في بعض المواضع قولَ المعتزلةِ، وما بَنَوه على أصولهم الفاسدة.

إلى أن قال:

وتفسيرهُ عظيمُ الضَّررِ؛ لكونهِ مشحونًا بتأويلات أهلِ الباطل، تلبيسًا وتدسيسًا على وجهٍ لا يفطن له غيرُ أهل العلم والتحقيق، مع أَنَّهُ تأليفُ رجلٍ لا يتظاهر بالانتساب إلى المعتزلة، بل يَجتهدُ في كتمان موافقتهم فيما هو لهم فيه

[٣٢]-التفسير والمفسرون: ج٢، ص٧٦٢-٧٦٤.

شبكة الألوكة www.alukah.net

موافق. ثُمَّ هو ليس معتزليًا مطلقًا فإنه لا يوافقهم في جَميع أصولهم، مثل خلق القرآن كما دلَّ عليه تفسيره في قوله تعالى:(ما يأَتيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِن رَبِّهم مُحدَثٍ)[الأنبياء ٢] وغير ذلك. ويوافقهم في القَدَر، وهي البليَّةُ التي غلبت على البصريين وعِيبوا بِها قديمًا". ([٣٣])

ثانيًا: يقول ياقوت الحمويُّ:

"وكان عالمًا بارعًا متفننًا شافعيًا في الفروع، ومعتزليًا في الأصول على ما بلغني، والله أعلم". ([٣٤])

ثالثًا: ويقول محمد بن علي الداوودي المالكي:

"...وذكره ابن الصلاح في طبقاته، واتهمه بالاعتزال في بعض المسائل بِحَسَبِ ما فهمه عنه في تفسيره في موافقة المعتزلة فيها، ولا يوافقهم في جميع أصولهم، ومما خالفهم فيه أَنَّ الجنَّة مَخلوقةٌ، نعم يوافقهم في القول بالقَدَرِ، وهي بلية غلبت على البصريين". ([٣٥])

ويقول الباحث:

والحقيقة: أننا ما دمنا نأمر بالقسط فنحن أولى به، ولذا نقول:

أن الجزم بالقول بوصف الماوردي بالاعتزال المطلق، يصعب أن يُقال عنه ذلك، أما كونه لديه بعض ما عند أهل الاعتزال فواضح جلي.

وأخيرًا: ندع القوس لباريها والقافية لناظمها وتاليها والإبل لقائدها وحاديها والماء كل منا واردها **وأبو الحسين الخياط** – أحد كبار المعتزلة في القرن الثالث-في كتابه الانتصار بيده ساقيها حيث يوضح المقال ببيان أبرز عقائد المعتزلة **فيقول:**

---

[٣٣]-يُنظر-طبقات الشافعية للسبكي ٢٧٠/٥

[٣٤]-يُنظر-معجم الأدباء لياقوت الحموي: ٥٣/١٥

[٣٥]-يُنظر-طبقات المفسرين للداوودي: ١/ ٤١٤.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"وليس يستحق أحدٌ منهم اسمَ الاعتزال حتى يَجمعَ القولَ بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمَنْزلة بين المَنْزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كَمُلَت في الإنسان هذه الخصالُ الخمسُ فهو معتزلي". ([٣٦])

.

الثالث: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي

وابن عطية هو: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي:(ت: ٥٤٢هـ).

القيمة العلمية لتفسير ابن عطية :

يُعد تفسير ابن عطية من أنفس كتب التفسير، ومع علمه بالتفسير فهو متمكن من الصناعة النحوية والشعر العربي، بل هو يُعد إمامًا في العربية، فقد اعتنى عناية بالغة ببيان معاني المفردات اللغوية، كما اعتنى كذلك ببيان إعراب الكلمات وتصريف المشتقات، وكثيرًا مايستدل بالشواهد الشعرية على ما ذهب إليه من الإعراب والتصريف مبينًا لمذاهب النحاة مرجحًا ما يراه راجحًا من أقوالهم، منتقدًا للمرجوح منها في بعض الأحايين.

كما أنه قد أعطى القراءات القرآنية اهتمامًا جليًا واضحًا في تفسيره، فتراه يذكر القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة ثم يعرج على ما تحتمله هذه القراءات من المعاني والمقاصد والدلالات، قاصدًا بصنيعه هذا بيان أوجه الإعجاز من جهة، ومحاولًا الوقوف على بيان أوجه دلالات المعاني وبيان معاني ما تحويه بين جنبتيها من ألفاظ من جهة أخرى، وكثيرًا ما يوجه القراءات حتى يتضح المعنى، ويكون بذلك التوجيه مبينًا وموضحًا لمعاني القراءات المختلفة والتي من أهم أهداف ومرامي سياقها بيان أوجه إعجاز القرآن وأنه كما

[٣٦]-يُنظر -الانتصار لأبي الحسين الخياط ١٢٦-١٢٧

شبكة الألوكة www.alukah.net

وصفه ربنا بقوله: **(لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِتَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت:٤٢)**

وتفسيره من أنفع التفاسير لطلاب العلم، فقد حوى علومًا شتى لا يستغنى عنها طالب علم،

مع ما تميز به من سلاسة العبارة وسهولة الأسلوب، وتقريب المعني والبعد عن كل تعقيد في اختيار الألفاظ أو الغموض في بيان دلالات المعاني التي تتضح به مرامي ومقاصد الآيات، فجاء تفسيره واضحًا من جهة المعاني والألفاظ والعبارات، مع ما تميز به من روعة التحرير والدقة في التفسير.

ولقد أبدع ابن عطية في تفسيره وأجاد، كما أحسن فيه وأفاد، وظهرت فيه صناعته النحوية وملكته الشعرية فتقدم غيره في هذا الجانب وساد، ولقد جاء تفسيره تفسيرًا جامعًا شاملًا متزنًا لم يطغ فيه أمرٌ على أمرٍ ولا حاد.

وقلما ينتقل عن مسألة حتى يبينها ويوضحها أوضح بيان بأسهل عبارة وأفصح لسان حتى ينظر فيها المتأمل والمتبصر فيجد نفسه أمام صرح متكامل البنيان.

إضافة إلى ما تميز به من حسن النسق ودقة التنسيق وجمال العرض وسهولة السياق، وقد لاقى بذلك تفسيره الاستحسان والقبول ومُدِحَ بذلك وقيل فيه من أحسن القول المقول.

"كما أن لهذا التفسير أثر كبير في التفاسير التي جاءت بعده، في المدرسة المغربية خاصة، نجد هذا الأثر واضحًا في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، كذلك في "البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي، وفي غيرها من كتب التفسير التي جاءت بعده". ([٣٧])

---

[٣٧]-عقيدة ابن عطية من خلال تفسيره المحرر الوجيز-مقال-عن ملتقى أهل التفسير.- محمد البويسفي

شبكة الألوكة www.alukah.net

منهجه في التفسير :

يعتبر كتاب " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (٥٤٦هـ) من أشهر كتب التفسير بالمأثور التي كان لها شأن عظيم، ومن ثم تناقله العلماء، وانتشر في كل مكان، وطار في الغرب والشرق كل مطار.

وضعابن عطية - منذ البداية - منهجًا كاملًا في التفسير، رسم من خلاله طريقًا واضحة المعالم،حاول الالتزام به ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، بيد أن ميزةابن عطيةلم تقف عند حد وضع منهج كامل لـ «تفسيره» فحسب، بل سار شوطاً أبعد منذلك؛ إذ رسم للمفسرين من بعده طريقة مثلى، ومنهجية واضحة المعالم، حين جعلمن التفسير علماً يستند إلى قواعد ومبادئ قائمة على الدقة والاستقصاءوالترتيب.

ولقد جمع ابن عطية مادة تفسيره من كُتب التفاسير التي تقدمته، كتفسير الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) والمسمى "جامع البيان في تفسير القرآن"، وتفسير أبي بكر محمد بن الحسن النقاش (٣٥١هـ) والمسمى "شفاء الصدور"، وتفسير أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني (٤٣٧هـ) والمسمى " الهداية إلى بلوغ النهاية"، وأما كتب القراءات فنجد كتاب الحجة لأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ)، وكتاب "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لأبي الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ)، بالإضافة إلى مؤلفات الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (٤٤٤هـ) مثل "كتاب التيسير"، و"كتاب جامع البيان في القراءات السبع" وغيرهما، إلى جانب هذه المصادر الكثيرة والمختلفة نجده اعتمد كذلك على كتب الحديث واللغة والفقه والتاريخ – والتي لا يتسع المقام لذكرها- وقد تحرَّى ابن عطية أن يُودِع في تفسيره كل ما هو أقرب إلى الصحة وألصق بالسنة؛ فأحسن فيه وأجاد، وأبدع فيه وأفاد، فجاء تفسيرًا جامعًا لكل شيء دون أن يطغى فيه جانب على جانب.

شبكة الألوكة www.alukah.net

إن أول ما نلاحظه عند مطالعة تفسير ابن عطية أنه جمع بين المأثور والرأي الذي يقوم على قوانين العلم والنظر السديد، وقد تجلت عناية ابن عطية بالمأثور فيما ذكره في تفسيره من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، ولكنه لا يلتزم بتخريج الأحاديث النبوية ونسبتها إلى مصادرها، -في كثير من الأحيان- فيقول مثلًا: وفي الحديث كذا، أو روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: كذا، وهو أمر يؤخذ عليه، وينتقد تفسيره بسببه كالحديث الذي أورده عند تفسيره لآية الكرسي، روى أبو هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى على المنبر قال:« وقع في نفس موسى هل ينام الله جل ثناؤه؟..» وهو حديث منكر([٣٨])، أما ما ورد عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم، فقد عني ابن عطية بنقل كثير من أقوالهم وآرائهم، وكان من أبرز الصحابة الذين نقل عنهم: عبد الله بن عباس، وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين، كما كان على رأس التابعين الذين اهتم بتلخيص أقوالهم، وتوجيه آرائهم في التفسير: الحسن بن أبي الحسن البصري، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير وغيرهم، كما قلل ابن عطية من الاستشهاد بالإسرائيليات وروايتها، وتناولها بالنقد والتمحيص، فأكد في مقدمة تفسيره أنه لا يذكر منها إلا ما لا تنفك الآية إلا به. ولذلك نجده يختصر من ذكر الروايات الإسرائيلية. ([٣٩])

المنهج اللغوي لابن عطية في تفسيره :

أما منهجه في اللغة والنحو فكان ببيان معاني المفردات وإعراب الكلمات وتصريف المشتقات، فعني عناية كاملة بتحديد معاني المفردات معتمدًا على الشواهد الشعرية، كما أكثر من ذكر الوجوه الإعرابية في الآية، وبيان المذاهب النحوية مرجحًا بعضها أحيانًا، ومنتقدًا لبعضها أحيانًا أخرى، ولم يُعنَ ابن عطية

[٣٨]-[سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: ١٠٣٤]

[٣٩]-[المحرر الوجيز: ١/١٥٩]

شبكة الألوكة www.alukah.net

كثيرًا بالحديث عن الأسرار البلاغية والنكات البلاغية، ووجوه الإعجاز البياني، والسّر في ذلك كما أشار الدكتور عبد الوهاب فايد (١٤١٨هـ) أن ابن عطية كغيره من الأندلسيين والمغاربة لم يشغل نفسه كثيًرا في علوم البلاغة والبيان، ولم يعكف على دراستها والتعمق في مسائلها يضاف إلى ذلك أن ابن عطية ضيق دائرة المجاز في القرآن الكريم، حيث كان يرى أنه لا مجاز فيما تتأتى فيه الحقيقة، ومن المعلوم أن المجاز بأقسامه من أهم الفصول في الدراسات البلاغية، ورغم ذلك لم يخل تفسيره من صور بيانية وبلاغية ذكرها، ككلامه على التشبيه والاستعارة والمجاز والإيجاز وغيرها. يقول عند تفسيره لقوله سبحانه: (يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ) [البقرة: ١٤٣] «وظاهر التشبيه أنه بالمتقهقر، وهي مشية الحيوان الفازع من شيء قد قرب منه، ويحتمل أن يكون هذا التشبيه بالذي رد ظهره ومشى أدراجه » ([٤٠])

منهج القراءات في تفسير ابن عطية

كما نجد ابن عطية في القراءات القرآنية قد التزم بذكر القراءات الصحيحة والشاذة مبينًا ما تحتمله هذه القراءات من المعاني والدلالات قاصدًا لإظهار إعجاز القرآن من جهة، ومحاولًا الوقوف عل المعاني التي تحملها الألفاظ، وموجهًا لبعضها من جهة ثانية، فمثلا يقول: عند تفسيره لقوله سبحانه:(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) [الرعد: ٤٠]. قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي (ويثبّت) بشد الباء، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم (ويثبت) بتخفيفها. وتخبط الناس في معنى هذه الألفاظ، والذي يتلخص به مشكلها: أن نعتقد أن الأشياء التي قدرها الله تعالى في الأزل وعلمها بحال ما لا يصح فيها محو ولا تبديل، وهي التي ثبتت في أم الكتاب وسبق بها القضاء» ([٤١])

---

[٤٠]- [المحرر الوجيز: ١/٢٢٠]

[٤١]-[المحرر الوجيز: ٣/٣١٧]

شبكة الألوكة www.alukah.net

منهج ابن عطية في عرض الأحكام الفقهية من خلال تفسيره:

أما منهجه في عرض الأحكام الفقهية فقد كان ابن عطية من أئمة المالكية، وفقيهًا من كبار فقهائهم. وذكر في تفسيره أقولًا متعددة لعلماء المالكية في مسائل فقهية مختلفة، فقد اعتنى في تفسيره بالجانب الفقهي وعرض بعضًا من أقوال فقهاء المالكية كابن الماجشون وابن القاسم وأشهب وسحنون وغيرهم.

وابن عطية تراه مثنيًا في بعض الأحايين على مذهب الإمام مالك مرجحًا له ومثنيًا عليه غير متعصبٍ لمالكيته، فقد يعرض في المسألة الواحدة أقوال المذاهب الفقهية الأخرى، بل ويعرض كذلك آراء غيرهم من الفقهاء، فأحيانًا يرجح وأحيانًا أخرى يبين أن الآية تحتمل وجوهًا دون ترجيح، وبذلك يكون قد سلك سبيلًا واضحًا قد قام فيه على التحرر من المذهب وارتفع بذلك عنه التعصب المذهبي، وبذلك الاعتدال يكون قد سلك سبيلًا يدلل على أن كتابه كتاب تفسير لا كتاب فقه، لأن بعض المفسرين أحيانًا كثيرة يميل إلى أصل صناعته الأصلية، فإن كان نحويًا فكأن القارئ يطالع كتابًا في العربية لا كتابًا في التفسير، وإن كان فقيهًا فكأنك تقرأ كتاب فقه، وإن كان صاحب مذهب عقدي تراه ينشر عقيدته وينتصر لها في كل موطن وكأنك تقرأ كتابًا في العقيدة لا كتابًا في التفسير، ومن أمثلة ذلك ما ذكره السيوطي في (الإتقان) عن البلقيني قال: استخرجتُ من الكشّاف اعتزالاً بالمناقيش. ([٤٢])

وختاما نخلص إلى أن الكشف عن القيمة العلمية لأي تفسير -في الحقيقة- جانب من أهم جوانب دراسته ولعل فيما مضى بيان شاف كاف لبيان بعض الجوانب العلمية التي ميزت هذا التفسير القيم وجعلته يحظى بمكانة مرموقة في مجال الدراسات القرآنية سواء في الغرب أو الشرق. ([٤٣])

---

[٤٢]-الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ج٢ ص١٩٠.

[٤٣]-وللاستزادة: يُنظر: موقع-مركز الدراسات القرآنية-مقال لـ "رضوان غزالي"

شبكة الألوكة www.alukah.net

عقيدة ابن عطية من خلال تفسيره :

ومع ما سبق بيانه من مكانة علمية مرموقة لهذا السفر من أسفار التفسير لابن عطية فإنه قد وقع في تأويل صفات الرب جل في علاه على طريقة الأشاعرة، كما أنه كثيرًا ما يقرر مسائل الاعتقاد بالعقل موافقًا بذلك طريقة المعتزلة الذين يعدون العقل أصلًا، إذا الأصل عندهم تقديم العقل على النقل.

وابن عطية له تأويلات لبعض صفات الرب جل في علاه واضحة في تفسيره ومن أمثلة التأويل عنده:

أولًا: تأويله لصفة العلو :

وذلك في قوله تعالى: {وَهُوَالْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥]، قال: (والْعَلِيُّ: يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان، لأن الله منزه عن التحيز. ([٤٤])

ثانيًا: تأويله كذلك لصفة الغضب :

وذلك في قوله تعالى: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} [الفاتحة: ٧]، قال: (والغضب عليهم هومن الله تعالى، وغضب الله تعالى عبارة عن إظهاره عليهم محنًا وعقوبات وذلة ونحو ذلك، مما يدل على أنه قد أبعدهم عن رحمته بعدا مؤكدًا مبالغًا فيه). ([٤٥])

ثالثًا: تأويله لصفة الاستواء:

وذلكفي قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم"(البقرة:٢٩)، حيث يقول: "ثم" هنا هي لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر في نفسه، و"استوى" قال قوم معناه: علا دون تكييف ولا تحديد، هذا الاختيار للطبري، والتقدير: علا أمره وقدرته وسلطانه، وقال ابن كيسان معناه قصد إلى السماء، قال الفقيه أبو محمد: أي بخلقه واختراعه، وقيل معناه كما

[٤٤]-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ط: قطر: (٣٤٢/١).

[٤٥]-المرجع السابق: (٧٧/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

صنعه فيها، كما تقول: استوى الأمر، وهذا قلق، وحكى الطبري عن قوم: أن المعنى: أقبل، وضعفه، وحكى عن قوم: أن المستوي هو الدخان، وهذا أيضًا يأباه رصف الكلام، وقيل المعنى استولى، كما قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراقمن غير سيف ودم مهراق

وهذا إنما يجيء في قوله تعالى "على العرش استوى" والقاعدة في هذه الآية ونحوها منع النقلة وحلول الحوادث، ويبقى استواء القدرة والسلطان". ([٤٦])

وابن عطية هنا يؤول الاستواء باستواء القدرة والسلطان.

وإنما كان تقريره لتأويل صفات الرب جل في علاه على طريقة الأشاعرة، بسبب تأصله وتأثره بكتب أبي المعالي الجويني، وأبي الطيب الباقلاني، وغيرهما من متكلمي الأشاعرة.

ومن الأمثلة التي يتضح فيها عيانًا بيانًا تقريره لما عليه المعتزلة من تقديم العقل على النقل ما أورده في تفسير آية الأنعام في قوله سبحانه: {لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣].

قال: ((أجمع أهل السنة على أن الله تبارك وتعالى يُرى يوم القيامة، يراه المؤمنون، قاله ابن وهب عن مالك بن أنس رضي الله عنه.

والوجه أن يبين جواز ذلك عقلاً، ثمَّ يُستند إلى ورود السمع بوقوع ذلك الجائز) ([٤٧])

ومما يؤيد ما سبق ذكره آنفًا عن آية الأنعام، ما أورده أيضًا في آية القيامة عند تعرضه لتأويل قوله تعالى: {وجوه يومئذٍ ناضرة إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣]، قال: (حمل هذه الآية جميع أهل السنة على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى)

ثم هو يعقب قائلًا: (وأما المعتزلة الذين ينفون رؤية الله تعالى، فذهبوا في هذه الآية إلى أنَّ المعنى: إلى رحمة ربها ناظرة، أو إلى ثوابه وملكه، فقدَّروا

[٤٦]-المحرر الوجيز: (١/١١٥).
[٤٧]-المرجع السابق: (٥ :٣٠٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

مضافًا محذوفًا، وهذا وجه سائغ في العربية، كما تقول: فلان ناظر إليك في كذا؛ أي إلى صنعك في كذا.

والرؤية إنما نثبتها بأدلة قطعية غير هذه الآية، فإذا ثبتت حَسُنَ تأويل أهل السنة في هذه الآية وقَوِي). ([٤٨])

وعمومًا، فإن ابن عطية الأندلسي نهج في تفسيره نهج الأشاعرة في الكثير من قضايا الاعتقاد، وقد ذكر بعضًا من عقائد المعتزلة كذلك منتقدًا لها تارة، وساكتًا عنها تارة أخرى، وكما قيل السكوت علامة الرضا.

ومن أمثلة أقوال بعض أهل العلم المعتدلة في ذلك:

أولًا: ما ورد عن شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف تفسير ابن عطية حيث يقول:

وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل فإنه كثيرًا ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري ـ وهو من أجل التفاسير وأعظمها قدرًا ـ ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحيكه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت المعتزلة به أصولهم وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب". ([٤٩])

ثانيًا: ما ورد عن ابن حجر الهيتميفي الفتاوي الحديثية:

وسئل نفع الله به: هل في تفسير ابن عطية اعتزال ؟

---

[٤٨]- المرجع السابق: (١٥: ٢١٨ ـ٢١٩).

[٤٩]-مجموع الفتاوى: (١٣/٣٦١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فأجاب بقوله : نعم فيه شيء كثير حتى قال الإمام المحقق ابن عرفة المالكي([٥٠]) : يخشى على المبتدئ منه أكثر ما يخاف عليه من كشاف الزمخشري لأن الزمخشري لما علمت الناس منه أنه مبتدع تخوفوا منه واشتهر أمره بين الناس مما فيه من الاعتزال ومخالفة الصواب وأكثروا من تبديعه وتضليله وتقبيحه وتجهيله، وابن عطية سني لكن لا يزال يدخل من كلام بعض المعتزلة ما هو من اعتزاله في التفسير ثم يقره ولا ينبه عليه ويعتقد أنه من أهل السنة وأن ما ذكره من مذهبهم الجاري على أصولهم. وليس الأمر كذلك فكان ضرر تفسير ابن عطية أشد وأعظم على الناس من ضرر الكشاف". ([٥١])

والمعتزلي يعتز بالانتساب للاعتزال بل يرضى بذلك تمامًا:

كما قال أبو هلال العسكري المعتزلي في كتابه "الأوائل":

(والمعتزلي راضٍ باسم الاعتزال، غير نافرٍ منه ولا كارهٍ له ولا مستبدلٍ به) ([٥٢])

لكنهم هم يفضلون أن يُسموا بـ " أهل التوحيد والعدل " أو " العدلية "، أما خصومهم فيطلقون عليهم أحيانًا " القدرية " وأخرى " المعطلة "وتارة" الجهمية".

ولعل في هذا البيان مع الإيجاز ما يغني عن الاطالة والانحياز.

الرابع: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَيّ الكلبي

وابن جُزَيّ هو: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي: (ت: ٧٤١هـ)

مكانة ابن جُزَيّ العلمية:

---

[٥٠]-ابن عرفة الورغمي المالكي التونسي:(٧١٦-٨٠٣هـ)

[٥١]-الفتاوي الحديثية لابن حجر الهيتمي:(صـ٢٤٢).

[٥٢]-**الأوائل: (ص٣٧٤).**

شبكة الألوكة www.alukah.net

كان ـ عفا الله تعالى ـ نابغًا في فنونٍ شَتَّى وعلومٍ مُتعدِّدة، فكان فقيهًا مالكيًّا، مُحدِّثًا، أُصوليًّا، مُقرئًا، مُتكلمًا، أديبًا، نحويًّا لُغويًّا، حافظًا مُتقنًا، مُفسِّرًا.

وكان مثاليًّا في العكوف على العلم، والاقتصاد في الاقتيات، والاشتغال والتقييد، والتدوين، تقدم خطيبًا على حداثة سنه في الجامع الكبير ببلده، فأمتع القلوب بحسن أسلوبه، وملك الأفئدة بوعظه وإرشاده وبراعة منطقه، فكان صحيح الاعتقاد ([٥٣])، سليم الطوية. اشتغل بالتدريس فتتلمذ عليه كثير من الناس.[٥٤]

ويُعدُ رحمه الله نابغة زمانه في علوم شتى كعلم التفسير والقراءات، وكذلك في علم الحديث والفقه وأصوله، وكان بارعًا في النحو وصناعة العربية كذلك، فكان أديبًا فصيحًا فاضلاً، كريم الشمائل، متحليًا بالتواضع والأدب الجم، مشتغلًا بالعلم عاكفًا عليه وعلى النظر والتأمل فيه، مشتغلًا بتقيده وتدوينه، مع قيامه بالتدريس والفتيا وغيرها من نفع العباد، عازفًا عن زخرف الحياة الدنيا زاهدًا في متاعها الفاني مقبلًا على ربه بقلبه وقالبه، رحمه الله تعالى.

ومن كريم أخلاقه كذلك أنه:

كان على جانبٍ كبيرٍ من المروءة والورع، والعِفَّة والطهارة، قال تلميذه الحضرمي في «فهرسته»: «كان رجلًا ذا مروءة كاملة، حافظًا متقنًا، ذا أخلاقٍ فاضلةٍ، وديانةٍ، وعِفَّة، وطهارة، وشهرته دينًا وعلمًا أغنت عن التعريف به» (٥٥) (٥٦)، **وتتضح وتنعكس هذه الصفات الحميدة وتلك الجوانب الأخلاقية**

---

[٥٣]-صحة الاعتقاد هنا جملة، لأنه رحمه الله له تأويلات لصفات الرب جل في علاه بارزة وواضحة جلية في تفسيره كما سيأتي معنا. الباحث.

[٥٤]-«الإحاطة» لابن الخطيب (٣/ ٢٠) ، «أزهار الرياض» (٣/ ١٨٥) ، «نفح الطيب» (٥/ ٥١٤) كلاهما للمقري.

[٥٥]- «نيل الابتهاج» (٢٣٩).

[٥٦]-الغني عن التعريف هو رب العالمين لا سواه. الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

العظيمة في بعض أبياته الشعرية، حيث يقول في مذهب الفخر وهو يفخر بعفته:

وَكَمْ مِنْ صَفْحَةٍ كَالشَّمْسِ تَبْدُو *فَيُسْلِي حُسْنُهَا قَلْبَ الحَزِينِ

غَضَضْتُ الطَّرْفَ عَنْ نَظَرِي إِلَيْهَا * مُحَافَظَةً عَلَى عِرْضِي وَدِينِي

ومن جميل نظمه كذلك قوله:

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصِدٌ * وَإِنَّ مُرَادِي صِحَّةٌ وَفَرَاغُ

لِأَبْلُغَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا * يَكُونُ بِهِ لِي لِلْجِنَانِ بَلَاغُ

وَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيُنَافِسْ أُولُو النُّهَى * وَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا الغَرُورِ بَلَاغُ

فَمَا الفَوْزُ إِلَّا فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ * بِهِ العَيْشُ رَغْدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاغُ

ويظهر في موقف آخر مشفقًا من ذنبه متضرِّعًا إلى ربه حيث يقول:

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي اليَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ * فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَدَا

وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قِبَلٍ * وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلَدَا

فَانْظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَنَتِي * وَلَا تُذِيقَنَّنِي حَرَّ الجَحِيمِ غَدَا

ومن مشهور نظمه ما له من شعر في الجناب النبوي حيث يقول:

أَرُومُ امْتِدَاحَ المُصْطَفَى فَيَرُدُّنِي * قُصُورِي عَنْ إِدْرَاكِ تِلْكَ المَنَاقِبِ

وَمَنْ لِي بِحَصْرِ البَحْرِ، وَالبَحْرُ زَاخِرٌ * وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الحَصَى وَالكَوَاكِبِ

إلى أن يقول:

وَلَوْ أَنَّ كُلَّ العَالَمِينَ تَأَلَّفُوا * عَلَى مَدْحِهِ لَمْ يَبْلُغُوا بَعْضَ وَاجِبِ

فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَأَدُّبًا * وَخَوْفًا وَإِعْظَامًا لِأَرْفَعِ جَانِبِ

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَرُبَّ سكُوتٍ كَانَ فِيهِ بَلَاغَةٌ * وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَتْبٌ لِعَاتِبِ. (٥٧)

تفسيره: مكانته وطريقته :

يعد "كتاب التسهيل لعلوم التنزيل" من أشهر كتب التفسير بالمأثور، ومؤلفه العلامة الحافظ المفسر محمد بن جزي الكلبي المالكي، أحد علماء غرناطة الأعلام، كان فذا في نباهته وإلمامه بالفقه والأصول وعلم الكلام والتفسير والحديث والقراءات، كما كان نابغة في اللغة والبلاغة والأدب، وكان إلى كل ذلك مؤرخًا وشاعرًا وخطيبًا وكاتبًا بارعًا. وقد تجلت صفات هذا العالم وتبحره في شتى العلوم والفنون في كتابه التسهيل لعلوم التنزيل.

من أهم الأسس التي بنى عليها ابن جُزَيّ تفسيره هو التفسير بالمأثور، ويشمل: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالمأثور من السنة النبوية، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

أما منهجه فيه فكان يرتب تفسيره حسب سور القرآن ابتداءً بسورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس، ويعتبر تفسيره من التفسير الجملي؛ أي يجزئ الآية حسب جملها المتعددة، فيفسر أهم الجمل فيها، ولا يتعرض للواضح منها، كما أنه حينما يورد الآية في تفسيره لا يوردها تامة في كثير من الأحيان، بل يورد بعضها ثم يقول: الآية. وقد يترك تفسير الآية أو الآيتين، وليس الجملة والجملتين فقط بدون تفسير، وذلك إما لأنه فسر آية بمعناها أو تشبهها، أو يرى أنها من الواضح الذي لا يحتاج إلى تفسير.

والسمة البارزة في تفسيره هي الميل إلى الاختصار بقدر الإمكان مع التلخيص والجمع للأقوال، لذا يكتفي غالبا بالإشارة، كما يهتم بأسباب النزول، والقراءات والإعراب، ويكثر من ذكر السؤال والجواب.

هذه نبذة يسيرة عن كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. ([٥٨])

---

[٥٧]-وللاستزادة: ينظر: «تحقيق «تقريب الوصول» (١٣)، «الإحاطة» لابن الخطيب (٣/ ٢٠)،«أزهار الرياض» (٣/ ١٨٥) ، «نفح الطيب» (٥/ ٥١٤) كلاهما للمقري.

شبكة الألوكة www.alukah.net

منهج ابن جُزَيّ وعقيدته في الأسماء والصفات:

إن المتتبع لبعض ما أملاه ابن جزي – رحمه الله تعالى –يظهر له جليًا منهجه وعقيدته في الأسماء والصفات والإيمان، والتي هي في الجملة عقيدة الأشاعرة وقد أورد ما يثبت ذلك في تفسيره، كما أثبت ذلك أيضًا ذلك في كتابه الموسوم بـ " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية" إلا إنه أحيانًا قد يخالف منهج الأشاعرة في بعض الصفات فيثبتها متبعًا في ذلك عقيدة أهل السنة.

ومن أمثلة تأويل ابن جزي لبعض صفات الرب جل في علاه على طريقة الأشاعرة ما يلي:

المثال الأول: تأويله لـ "علو الله وفوقيته تعالى"

وذلك في قول الله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) (النحل :٥٠)

يقول: "ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة، أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل يخافون أن يرسل عليهم عذابًا من فوقهم". ([٥٩])

المثال الثاني:تأويله لصفة "اليد":

فقد أوّل صفات اليد عن ظاهرها في قوله تعالى: (بل يداه مبسوطتان) (المائدة:٦٤)

فقال: هي: "عبارة عن إنعامه وجوده" ([٦٠])

[٥٨]-يُنظر: رضوان غزالي-مركز الدراسات القرآنية

[٥٩]-التسهيل لعلوم التنزيل: (٢٨٤/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

المثال الثالث: تأويله لصفة "الإتيان ":

كما في قوله تعالى: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ) (البقرة:٢١٠)، فقال: تأويله عند المتأولين، يأتيهم عذاب الله في الآخرة أو أمره في الدنيا. (٦١)

المثال الرابع: تأويله لبعض أسماء الرب جل في علاه :

ومن تلك الأسماء "النور"، فعند قوله تعالى: (الله نور السموات والأرض) (النور:٣٥) الآية.

قال: النور يطلق حقيقة على الضوء الذي يدرك بالأبصار، ومجازًا على المعاني التي تدرك بالقلوب، والله ليس كمثله شيء، فتأويل الآية "الله ذو نور السماوات والأرض" ... فمعنى نور السماوات والأرض، أنه خلق النور الذي فيهما من الشمس والقمر والنجوم ... الخ).

ولا شك أن هذا تأويل واضح وصريح، وصرف للمعنى عن ظاهره.

ومن جملة ما أوله كذلك من أسماء الرب جل في علاه الأسماء التالية:

الأول، والآخر، والظاهر، والباطن"، فعند قوله تعالى: (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) (الحديد:٣)، قال: هو الأول والآخر أي ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية، والظاهر والباطن أي الظاهر للعقول، بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته. ([٦٢])

والعجيب أن من منهج المؤلف –عفي الله عنه-تفسير القرآن بالسنّة، وقد أغفل هنا تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للآية، حيث قال كما في صحيح مسلم:

---

[٦٠]-المرجع السابق: (٣٢٨/١)

[٦١]-المرجع السابق: (٧٧/١)

[٦٢]-المرجع السابق: (١٧٣/٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

(اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنّا الدين ونجنا من الفقر. ([٦٣]) ([٦٤])

عقيدته في الحرف والصوت :

وابن جُزَيّ يثبت صفة الكلام لله تعالى، **وقد صرح ببطلان قول المعتزلة في ذلك ([٦٥])،**

لكنه ينكر أن كلامه تعالى بحرف وصوت، وقد أجمع السلف على إثبات كلام الله تعالى بحرف بصوت، فيقول:

وأما الكلام فإنه جل وعز متكلم بصفة أزلية، ليس بحرف ولا صوت ولا يقبل العدم، ولا ما في معناه من السكوت، ولا التبعيض ولا التقديم ولا التأخير، الذي لا يشبه كلام المخلوقين، كما لا تشبه ذاته ذوات المخلوقين، لا تنفد كلماته كما لا تحصى معلوماته ولا تنحصر مقدوراته: (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (الكهف:١٠٩) ([٦٦])

عقيدته المخالفة لأهل السنة في مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

فالإيمان عند أهل السنة قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصر، وهو من شعائر السنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك، وكلام الأئمة في ذلك مشهور ومعلوم.

---

[٦٣]-مسلم (٦٨٢٧) (٣٨/٩)

[٦٤]- ابن جزيّ ومنهجه في التفسير: (٥٣٧/١)

[٦٥]-التسهيل لعلوم التنزيل: **(١٦٤/١)** بتصرف يسير.

[٦٦]-يُنظر: -القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية لابن جزي، تحقيق: محمد بن سيدي محمد مولاي، ص:٥٦-٧٦.

شبكة الألوكة www.alukah.net

"ولقد خالف ابن جُزَيّ –عفا الله عنه-أهل السنّة في مسائلَ عقديّة مختلفة، منها تأويله أو تفويضه لبعض الأسماء أو الصفات كما سبق بيانه، ومنها مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان وخروجها، والتي سنذكرها هنا دون غيرها طلبًا للاختصار. فقال –عفا الله عنه-عند قوله تعالى: (وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ...) الآية (٢٥: البقرة)

(الذين آمنوا وعملوا الصالحات) دليل على أن الإيمان خلاف العمل؛ لعطفه عليه، خلافًالمن قال: اعتقاد وقول وعمل، وفيه دليل أن السعادة بالإيمان مع الأعمال، خلافًا للمرجئة. ([٦٧]) ([٦٨])

فيتضح هنا إخراجه للعمل عن مسمى الإيمان، وإن كان يرى أنها مطلوبة.

وأمّا ما احتج به من أن العطف يقتضي المغايرة، فغير مسلّم؛ لأن العطف لا يقتضي المغايرة دائمًا، وإنما يقتضي عدم المساواة، فالإيمان غير مساوٍ للعمل، وإن كان منه، فالإيمان عمل وزيادة، فهو أعمّ.

الخامس: "البحر المحيط فيالتفسير": لأبي حيّان الغرناطي الأندلسي:

وأبو حيّان هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي: (ت:٧٤٥هـ)

أسلوبه ومنهجه في التفسير:

يُعد البحر المحيط في التفسير المرجع الأهم لمن أراد الوقوف على وجوه الإعراب لألفاظ القرآن الكريم ودقائق مسائله النحوية، فابن حيان يتكلم في كتابه على المعاني اللغوية للمفردات ذاكرًا أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات مع توجيهها، ولا يهمل الأحكام الفقهية عندما يمر بآيات الأحكام. ذاكرًا ما جاء عن السلف، ومن تقدمه من الخلف.

---

[٦٧]-التسهيل لعلوم التنزيل:(٧٢/١)

[٦٨]-ابن جُزَيّ ومنهجه في التفسير: (١ / ٥٧٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

كما يُعد البحر المحيط من التفاسير المدرجة ضمن التفاسير بالرأي، اهتم فيه مصنفه أبو حيان بذكر وجوه الإعراب لألفاظ القرآن ودقائق مسائله النحوية، وتوسع فيها غاية التوسع، وذكر مسائل الخلاف فيها، حتى كاد الكتاب أقرب ما يكون كتاب نحو منه كتاب تفسير، ومع ذلك لم يهمل المصنف الجوانب التفسيرية الأخرى، كذكره المعاني اللغوية للآيات، والأسباب الواردة في نزولها، ويتعرض أيضًا لذكر الناسخ والمنسوخ، وأوجه القراءات القرآنية، والأحكام الفقيهة المتعلقة بآيات الأحكام، وقد اعتمد المصنف في جمع مادة تفسيره على كتاب التحرير والتحبير لأقوال أئمة التفسير لمؤلفه ابن النقيب، كما أنه كان كثيرًا ما ينقل عن الزمخشري وابن عطية الأندلسي، خاصة في مسائل النحو، ويتعقبهما في كثير من المسائل، مع اعترافه لهما بمنزلتهما العلمية.

ويُعد الجانب النحوي هو أبرز ما في تفسير البحر المحيط، إذ إن المؤلف قد أكثر من ذكر مسائل النحو، وتوسع فيها غاية التوسع، وذكر مسائل الخلاف فيها، وقد ذكر أبو حيان في مقدمة كتابه منهجه في تفسير القرآن الكريم، وحاصل منهجه نستعرضه وفق الآتي: يبدأ الكلام على مفردات الآية القرآنية، فيشرحها كلمة كلمة، ويبين معانيها، وبعد أن يذكر سبب نزول الآية، إن كان ثمة سبب لنزولها، يشرع في تفسير الآية كاملة، ثم يذكر تناسب الآية مع ما قبلها من الآيات، وكان من منهج أبي حيان ذكر أوجه القراءات القرآنية الواردة في الآية، مع توجيهه لتلك القراءات وفق مقتضيات اللغة العربية، ثم إن أباحيان ينقل أقوال السلف والخلف الواردة في معاني الآيات، ويختار منها ما يراه الأقوى دليلًا، والأصح ثبوتًا، وكان لأبي حيان اهتمام خاص ببيان النواحي البلاغية في الآية التي يريد تفسيرها، فنجده يبين أوجه البلاغة فيها غاية البيان، أما معالجته لآيات الأحكام فهذا من منهجه أيضًا، فكان ينقل أقوال الفقهاء في المسألة موضع البحث، ويرجح منها ما يرى أن الدليل يؤيده، والعقل يصوبه.

ويلاحظ من منهج أبي حيان في تفسيره أنه لا يحمل النص القرآني ما لا يحتمل، ولا يخرج به عن ظاهره إلا لدليل يقتضي هذا الخروج، لذلك لا يعرض

شبكة الألوكة www.alukah.net

في تفسيره لأقوال أهل الفلسفة، ولا يعرج لا من قريب ولا بعيد على أقوال الفرق الباطنية، التي تعتمد التأويل المرجوح لآيات القرآن الكريم، ويُلمس أن أبا حيان كان في منهجه بعيدًا عن أقوال أهل الفلسفة، وبريئًا من مذهب أهل الاعتزال، غير أنه في المقابل لم يلتزم مذهب أهل السنة والجماعة في مسائل الأسماء والصفات، وإن ظهرت عنده بعض اللمسات التي تدل على تمسكه بمنهج أهل السنة والجماعة في ذلك. ([٦٩])

موقف أبي حيانمن الإسرائيليات:

أما موقفه بالنسبة إلى الإسرائيليات، فان تفسيره، لم يسلم منها، ومن الروايات الموضوعة المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله، وان كان مقلاً في ذكرها، وذلك مثل ما ذكره في حجر موسى، وقصة داود وزوجة أوريا، وكذا في الروايات الباطلة في قصة إرم ذات العماد ([٧٠]).

ولم يلتزم بما قاله في مقدمة تفسيره حيث قال:

إن الحكايات التي لا تناسب، والتواريخ الإسرائيلية لا ينبغي ذكرها في علم التفسير. ([٧١])

ومع هذا فانه قد ينتقدها بعد ذكر أخبارها كما فعل في قصة هاروت وماروت. ([٧٢])

وخلاصة القول :

أن الوجه الغالب في هذا التفسير الناحية الأدبية والبلاغية في القرآن، وبيان المعاني اللغوية والأحكام النحوية مع الاهتمام بذكر جميع القراءات المستعملة والشاذة، وتوجيه هذه القراءات. ([٧٣]).

---

[٦٩]-للاستزادة: يُنظر: الموسوعة الحرة.

[٧٠]-البحر المحيط، ج٦ / ٣٩١،٣٩٧،٤٠٠، طبعة دار الفكر.

[٧١]-المرجع السابق، ج١ /٥، طبعة دار الفكر.

[٧٢]-البحر المحيط، ج١ /٤٩٨، طبعة دار الكتب العلمية .

شبكة الألوكة www.alukah.net

عقيدته :

وقد وقع أبو حيان في تأويل بعض صفات الرب جل في علاه على طريقة الأشاعرة، وإليك نسوق غيضًا من فيض من بعض تأويلاته لصفات الرب جل في علاه.

أولًا: تأويله لصفة المعية :

وذلك في قوله تعالى:(وهو معكم أينما كنتم) (الحديد: ٤) حيث يقول:

وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها، وأنها لا تحمل على ظاهرها من المعية بالذات، وهي حجة على من منع التأويل في غيرها مما يجرى مجراها من استحالة الحمل على ظاهرها، وقال بعض العلماء: فيمن يمتنع من تأويل ما لا يمكن حمله على ظاهره، وقد تأول هذه الآية، وتأول الحجر الأسود يمين الله في الأرض، لو اتسع عقله لتأول غير هذا مما هو في معناه. ([٧٤])

يقول سماحة شيخنا الإمام ابن باز رحمه الله تعالى:

والذي عليه أهل السنة في ذلك أن الله سبحانه موصوف بالمعية على الوجه الذي يليق بجلاله مع إثبات استوائه على عرشه وعلوه فوق جميع خلقه وتنزيهه عن مخالطته للخلق فهو سبحانه عليٌّ في دنوه قريب في علوهِّ، فوصفه بالمعية لا ينافي وصفه بالعلو على الوجه الذي يليق به من غير أن يشابه خلقه في شيء من صفاته.

ولما كانت الجهمية والمعتزلة يحتجون بآيات المعية على إنكار العلو ويزعمون أنه سبحانه بكل مكان أنكر عليهم السلف ذلك وقالوا: إن هذه المعية تقتضي علمه بأحوال عباده واطلاعه عليهم مع كونه فوق العرش، ولهذا بدأ آيات المعية العامة بالعلم وختمها بالعلم؛ تنبيهًا لعباده على أن مراده سبحانه من إخباره بالمعية إشعار عباده بأنه يعلم أحوالهم ويطلع عليهم، ولهذا فسر أكثر السلف آيات المعية بالعلم.

---

[٧٣]- وللاستزادة: يُنظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم: ج١، ص ٢٦٨-وما بعدها.

[٧٤]-البحر المحيط: (٢١٧/٨)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وحكى بعض أهل العلم إجماع أهل السنة على تفسير آيات المعية بالعلم وإبطال رأي الجهمية والمعتزلة في تفسيرها بأنه في كل مكان، وإنكارهم العلو والاستواء - قاتلهم الله أنى يؤفكون،وبهذا تعلم أن تفسير المعية بالعلم ليس هو قول الشيخ تقي الدين([٧٥]) وحده، بل هو قول أهل السنة، وقد ذكر رحمه الله في الواسطية ما يدل على وجوب الإيمان بأن وصف الله سبحانه بالعلو والمعية حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة إلى آخره فراجعه إن شئت، ومراده رحمه الله أنه يجب إثبات المعية والعلو فوق العرش على وجه يليق بالله لا يشابه فيه خلقه. ([٧٦])

ثانيًا: تأويله لصفة الاستواء:

في قوله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ)** (الأعراف:٥٤)

قال: الضمير في قوله: (العرش) يحتمل أن يعود على المصدر الذي دل عليه خلق، ثم استوى خلقه على العرش، وكذلك في قوله: وكذلك في قوله: (على العرش استوى) (طه:٥) لا يتعين حمل الضمير في قوله: (على العرش استوى)، إذ يحتمل أن يكون الرحمن خبر مبتدأ محذوف والضمير في (استوى) عائد على الخلق المفهوم من قوله: (تنزيلًا ممن خلق الأرض والسموات العلى) (طه:٤) أي: هو الرحمن استوى خلقه على العرش؛ لأنه تعالى لما ذكر خلق السماوات والأرض ذكر خلق ما هو أكبر وأعظم وأوسع من السماوات والأرض ومع الاحتمال في العرش وفي استوى وفي الضمير العائد لا يتعين حمل الآية على ظاهرها هذا مع الدلائل العقلية التي أقاموها على استحالة ذلك. ([٧٧])

ثالثًا: تأويله لصفة علو الله تعالى:

وذلك في قوله تعالى:

---

[٧٥]-يعني سماحته بتقي الدين: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله جميعًا.

[٧٦]-للاستزادة: يُنظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

[٧٧]-تفسير البحر المحيط :(٣٠٩/٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

(أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) (الملك:١٦)

قال: (من في السماء) هذا مجاز، وقد قام البرهان العقلي على أنه تعالى ليس بمتحيز في جهة، ومجازه أن ملكوته في السماء.

ولا شك في وضوح تأويله لصفة علو الله على خلق علوًا على الحقيقة يليق بذاته العلية.

والأدلة التي تثبت صفة العلو لله تعالى، وكذلك أدلة استوائه سبحانه على عرشه جل في علاه كذلك معلومة ومشهورة وهي أكثر من أن يحصيها مقال، وأهل السنة والجماعة وفي مقدمتهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان مجمعون على أن الله تعالى مستوٍ على عرشه بائن من خلق وأنه تعالى فوق كل شيء وأعلى من كل شيء كذلك.

وقد دل على ذلك الأدلة الصريحة في كتاب الله تعالى والأحاديث الصحيحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإجماع الأمة والعقل الصحيح والرأي والنظر السديد بالإضافة إلى دلالة الفطرة السوية.

قال الإمام الطبري شيخ المفسرين رحمه الله:

قول تعالى ذِكره: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) أيها الكافرون.

(أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ) يقول: فإذا الأرض تذهب بكم، وتجيئ، وتضطرب. (أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) وهو الله.

(أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) وهو التراب فيه الحصباء الصغار. ([٧٨])

وقال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله:

وأما قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ) (الملك:١٦) فمعناه: مَن على السماء، يعني: على العرش. ([٧٩])

---

[٧٨]-تفسير الطبري: (٥١٣/٢٣)

[٧٩]- التمهيد لابن عبد البر: (١٣٠/٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

فهذان قولان لمفسِّر فقيه، ومحدِّث فقيه، وبهما يتبين بجلاء بطلان ذلك الزعم بأنه لا أحد من العلماء المعتبرين يقول بأن معنى (من في السماء) إنه الله، ولو شئنا لسردنا عشرات النقولات عن الأئمة المعتبرين، سلفًا، وخلَفًا.

وأبو حيان، وإن كان مقامه في العلم، وتفننه فيه ما ذكرنا، إلا أنه كان في أبواب الكلام على طريقة الأشاعرة، ولا سيما في مسائل الأسماء والصفات، كما غلبت العادة بذلك على كثير من أهل زمانه.

هذا، وقد تتبع الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي حفظه الله، نصوص أبي حيان في مسائل الأسماء والصفات، فأورد ثلاثًا وعشرين صفة من صفات الله تعالى، أولها أبو حيان ونقل كلامه عليها، بما يدل بوضوح على نزعته الأشعرية في تقرير مسائل هذا الباب. ([٨٠])

ولقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان صريح صحيح في أن المراد بـ (من في السماء) هو الله تعالى، ولا تحتمل غير هذا المعنى

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: (أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً) ([٨١])

ومع ما سبق بيانه فإن تفسير أبي حيان قد ورد فيه بعض ما يدلل على أنه يغلب عليه السلامة أكثر من غيره ممن نهج نهجه في التفسير بالرأي، ومن تأمل تفسيره تبين له صحة ذلك عيانًا.

ولقد طال البيان والإيضاح في هذا الشأن العظيم حماية لجناب العقيدة وعظم شأنه من جهة، ولفشو تأويل وتعطيل صفة علو الله تعالى خاصة من جهة أخرى، ولا أقول بين عموم المسلمين فحسب، بل لفشو ذلك بين فئام من المنتسبين للعلم

---

[٨٠]-وللاستزادة يُنظر: المفسرون بين التأويل والإثبات،محمد عبد الرحمن المغراوي، (ص: ١٠٣٨-١١١١)، ويُنظر كذلك: الإسلام سؤال وجواب.

[٨١]-رواه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قديمًا وحديثًا كذلك، وإلى الله وحده المشتكى وبه المستغاث والمستعان وعليه التكلان ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

السادس: "تفسير القرآن العظيم" للحافظ ابن كثير

وابن كثير هو: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرالقرشي الدمشقي: (ت:٧٧٤هـ)، ومقدمة تفسيره قد أفادها مما أملاه شيخ الإسلام في رسالته المختصرة الجامعة الماتعة: "أصول التفسير".

تفسيره ومكانته:

يُعد تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى من أهم التفاسير الأثرية، وهو من أحد أشهر كتب التفسير عند أهل السنة والجماعة، ويُعد تفسيره كذلك في طليعة التفاسير التي اعتنى أصحابها بالتفسير بالمأثور بعد تفسير شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري.

وقد تلقت الأمة تفسيره بالقبول عامة وخاصة، ولا سيما بين المشتغلين بالتفسير وعلوم القرآن، لتميز تفسيره بإيجاز اللفظ وشمول المعنى ووضوح وسهولة العبارة وجزالتها، وتناولها بأسلوب مختصر، وهو مع ذلك لم يتغافل عن بيان بعض المسائل الفقهية فيتعرض لها أحيانًا عند الحاجة ويذكر أراء الفقهاء في بعض المسائل الفرعية وقد يعقب ببيان رأيه في المسألة، كل ذلك إضافة إلى كونه تفسير موثوق يتبع فيه صاحبه وينهج أفضل طرق التفسير وهي التفسير بالمأثور الذي هو: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن الكريم بالسنة، ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

كما اهتم باللغة وعلومها وأساليبها واعتمد عليها فى فهم القرآن فيأخذ فى الاعتبار مقتضى الألفاظ، كما اهتم كذلك بالأسانيد ونقدها مع الحكم على الرواة غالبًا، كما حرصعلى ذكر الأعلام الذين نُقِلت عنهم الآراءُ، فذكر العديد منهم، كما أولى العناية بالإفادة من السيرة النبوية في إيضاح وتفسير آي التنزيل، كما

شبكة الألوكة www.alukah.net

اعتنى بذكر الآيات المتشابهة فكثيرًا ما تجده يذكر الآية ثم يقول وهي كقول الله تعالى كذا وكذا ثم يذكر ما يشابهها من آيات في مواضع أخر، كما اعتنى بذكر القراءات وأسباب النزول.

ولقد اعتمد ابن كثير رحمه الله تعالى على من سبقه من المفسرين، والنقل عنهم، وقد صرح بذلك؛ ومنهم هؤلاء ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، وابن عطية الأندلسي، ونقل عن ابن تيمية بعض أقواله كذلك.

منهجه في التفسير :

وندع المجال لابن كثير ليبين بنفسه منهجه الذي سلكه في تفسيره حيث يقول رحمه الله:

"إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه". ([٨٢])

إن الناظر في تفسير هذا الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله يعلم رسوخه في العلم، فامتاز هذا التفسير بميزات متعددة توضح منهج الحافظ في كتابه فمنها:

أولًا: امتاز هذا التفسير بسهولة العبارة وجزالتها، بأسلوب مختصر .

ثانيًا: يذكر الروايات بأسانيدها في الغالب، ويحكم على الروايات في الغالب، فإن كانت ضعيفة بين علتها، ويسكت عن بعض الروايات فلم يذكر لها حكمًا.

[٨٢]-تفسير ابن كثير ت سلامة (١/ ٧)، بتصرف يسير.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثًا: يفسر القرآن بالقرآن، حتى يتبين المراد، وأحيانًا يذكر الآيات المتشابهة، ويذكر القراءات، وأسباب النزول.

رابعًا: أنه في آيات الصفات سلك مسلك الحق والصواب بخلاف كثير من المفسرين .

خامسًا: أنه إن لم يجد ما يفسره بالقرآن فسره بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وينقل أقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، ويذكر أقوال التابعين ومن تبعهم، بل إنه ينقل حتى عن الإمام الطبري رحمه الله. ([٨٣])

موقفه من الإسرائيليات

وقد وضح الحافظ ابن كثير– رحمه الله-موقفه من الإسرائيليات في مقدمة تفسيره، حيث قسمها إلى ثلاثة أقسام،- بعد أن ذَكر حديثَ: "بلّغُوا عنِّي ولو آيةً وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَجَ ([٨٤])، وحديث: من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأْ مقعده من النار". ([٨٥])

فقال رحمه الله -:"ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تُذكر للاستشهاد، لا للاعتضاد، فإنها على **ثلاثة أقسام :**

أحدها: ما علمنا صحتَه مما بأيدينا مما نشهدُ له بالصدق، فذاك صحيح .

والثاني: ما علمنا كذبَه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث: ما هو مسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمِنُ به ولا نكذّبه، وتجوزُ حكايتُه لما تقدّم، وغالبُ ذلك مما لا فائدة فيه تعودُ إلى أمرٍ دينيّ، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك، كما يَذكرون في مثل:

---

[٨٣]-للاستزادة: يُنظر: الإمام ابن كثير ومنهجه في التفسير-محمد بن عبدالله العبدلي-عن-موقع الألوكة.

[٨٤]-رواه البخاري: (٥٧٢/٢) برقم: (٣٤٦١)

[٨٥]-أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم برقم ١٠٧، ومسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم ٣.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعِدّتهم، وعصا موسى من أيِّ شجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِبَ به القتيلُ من البقرة،

ونوع الشجرة التي كلَّم الله منها موسى إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم".([٨٦])

وقال- رحمه الله-في مقدمة "البداية والنهاية": "ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهو القسم الذي لا يُصَدَّق ولا يُكَذَّب، مما فيه بسط لمختصر عندنا. فنذكره على سبيل التحلي به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه. ([٨٧])

وقد عُرِف عن الحافظ ابن كثير–رحمه الله -عن ذكر كثير من الأخبار الإسرائيلية في تفسيره، وفي مواضع أخرى ينتقد بعض الأخبار الإسرائيلية بقوة، ويتعقب مَن أوردها من المفسرين.

ومن أمثلة ذلك:

١-عند تفسير قوله تعالى: "وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ...." [البقرة:١٠٢]. ([٨٨])

٢-عند تفسير قوله تعالى: "قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" [الأعراف:٢٤]. ([٨٩])

---

[٨٦]- تفسير ابن كثير(٩/١)

[٨٧]-البداية والنهاية: (٧/١)

[٨٨]-المرجع السابق:(٣٦٠/١)

[٨٩]-المرجع السابق:(٣٣٩/٣)

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣-عند تفسره لقوله تعالى في سورة الكهف "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا" [الكهف:٥٠]. ([٩٠])

٤-عند تفسير قوله تعالى: "وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى" [طه:١٨]. ([٩١])

٥-عند تفسير قوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لأبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللاعِبِينَ قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ". [الأنبياء:٥١-٥٦]. ([٩٢])

٦-عند تفسير قوله تعالى: "قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [النمل:٤١-٤٤].([٩٣])

٧-عند تفسير قوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ" [العنكبوت:٤٦]. ([٩٤])

٨-عند تفسيره لأوائل سورة "ق". ([٩٥])

---

[٩٠]-تفسير ابن كثير: (١٦٨/٥)

[٩١]-المرجع السابق: (٢٧٩/٥)

[٩٢]-المرجع السابق: (٣٤٧/٥)

[٩٣]-المرجع السابق:(١٩٧/٦)

[٩٤]-المرجع السابق:(٢٨٤/٦)

[٩٥]-المرجع السابق:(٣٩٤/٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا كان الحافظ ابن كثير– رحمه الله –ذكر بعض الأخبار الإسرائيلية في تفسيره، حيث تبع من سبقه من المفسرين، فإنه –كما تقدم– ينبه عليها غالبًا، وينتقدها ويبين أنه لا فائدة فيها، ولا شك أن الأولى الإعراض عن ذكرها في تفسير كلام الله، وإن كان بعضها مما لا يصدق ولا يكذب.

وفي نحو ذلك يقول العلامة أحمد شاكر– رحمه الله:-

"إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليلٌ على صدقه ولا كذبه– شيءٌ، وذكر ذلك في تفسير القرآن، وجعله قولاً أو روايةً في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يعين فيها، أو في تفصيل ما أُجمل فيها– شيء آخر!! لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذي نعرف صدقه ولا كذبه مُبينٌ لمعنى قول الله سبحانه، ومفصلٌ لما أُجمل فيه! وحاشا لله ولكتابه من ذلك، وإن رسول الله –صلى الله عيه وسلم– إذ أذن بالتحدث عنهم -أرنا ألا نصدقهم ولا نكذبهم، فأي تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير والبيان؟"!. (٩٦) (٩٧)

وعلى العموم فإن تفسير ابن كثير يُعد من أهم التفاسير المعتمدة بالمأثور، ثم إنه سلفي الاعتقاد، وقد سلك في آيات الصفات مسلك أهل الحق والصواب وهو مسلك الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وذلك بخلاف ما عليه الكثير من أهل التفسير، وإن احتوى تفسيره على بعض الإسرائيلية فهو مقل جدًا بالنسبة لغيره، وهذا لا يقلل من مكانة تفسيره العلمية، فهو غالبًا ما يسند ما روى منها، ومن أسند فقد برئ غالبًا، مع احتواء تفسيره على أقوال ضعيفة أو روايات إسرائيلية لم ينبه عليها فهي قليلة جدًا كما أسلفنا،

---

[٩٦]-عمدة التفسير: (١٥/١)

[٩٧]-وللاستزادة: يُنظر: موقف ابن كثير من الإسرائيليات...لـ د. محمد القناص-مقال عن موقع-أهل التفسير-بتصرف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

فهذا عمل بشري فلا يقلل ذلك من شأنه أبدًا، أو يكون من أسباب الطعن فيه والصد عنه، ويبقى تفسيره بعد ذلك كله في مقدمة كتب التفسير بالمأثور بعد تفسير ابن جرير الطبري شيخ المفسرين.

موقفه ابن كثير من الأحاديث الواردة في تفسيره :

اعتني ابن كثير بالأحاديث، فكان يستعين بها في فيفسر بها القرآن، فتراه يذكر الحديث بسنده ويحكم عليه غالبًا ويرجح ما يرى أنه الحق، دون التعصب لرأي أو تقليد بغير دليل، ويحشد الأحاديث الكثيرة في تفسير الآية الواحدة، حيث تُقدر الأحاديث المذكورة في تفسيره بآلاف الأحاديث.

ولقد جمع ابن كثير علومًا شتى مع علمه بالتفسير فقد كان محدثًا متمكنًا من الصناعة الحديثية لما لا وهو تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، كل ذلك أعطى ابن كثير القدرة على التمييز بين روايات الأحاديث الصحيحة والضعيفة، وهذا مما يميز تفسيره عن غيره من التفاسير المشحونة بالأحاديث الضعيفة بل والموضوعة والمكذوبة، ومع ذلك فهو يورد الحديث أو الأثر ويوضح ويبين ما فيه ويحكم عليه صحة أو ضعفًا ولا يورد الرواية حتى يحكم عليها، وعلى سبيل المثال لا الحصر تفسيره لسورة بني إسرائيل فقد أورد بعض الأحاديث المتعلقة بالإسراء وحكم عليها وبين الغرابة والنكارة والاضطراب الواردة في بعضها.

اشتماله على المناقشات الفقهية :

يلاحظ على ابن كثير أنه يدخل في المناقشات الفقهية ويذكر أقوال العلماء وأدلتهم عندما يشرح آية من آيات الأحكام. فيُبيّن موقفه من آيات الأحكام، وينقل أقوال أهل العلم،

مشفوعة بأدلة كل منهم، ثم يُرجِّح من أقوالهم ما يرى أن الدليل يدعمه، أو أن السياق يؤيده.

عقيدته :

شبكة الألوكة www.alukah.net

يُعد ابن كثير رحمه الله من أعلام السلف الذين سلكوا مسلك أهل السنة والجماعة في العقيدة ودعي إليها ونافح عنها وتفسيره خير شاهد على ذلك، ونسوق غيضًا من فيض من عقيدته التي سار عليها في تفسيره رحمه الله تعالى.

المثال الأول: إثباته لصفة الاستواء في سورة الأعراف حيث يقول رحمه الله:

"وأما قوله تعالى: (ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ) [سورةالأعراف ٥٤]، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدًا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و(لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ)[سورة الشورى ١١]بل الأمر كما قال الأئمة -منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري -: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى". ([٩٨])

ثم هو يعيد تأكيده لصفة الاستواء كذلك في سورة طه حيث يقول رحمه الله تعالى:

" وقوله: {الرحمن على العرش استوى} (طه:٥) " تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف، بما أغنى عن إعادته أيضًا، وأن المسلك الأسلم في ذلك طريقة

[٩٨]- تفسير ابن كثير: (٤٢٧/٣)

شبكة الألوكة www.alukah.net

السلف، إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكييف ولا تحريف، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل ". ([٩٩])

وقال في رده على الجهمية أيضًا رحمه الله تعالى:

" وَالْجَهْمِيَّةُ تَسْتَدِلُّ عَلَى الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ بِأَنَّهُ الِاسْتِيلَاءُ بِبَيْتِ الْأَخْطَلِ، فِيمَا مَدَحَ بِهِ بِشْرَ بْنَ مَرْوَانَ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِمِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍمُهْرَاقِ

وَلَيْسَ فِيهِ دَلِيلٌ، فَإِنَّ هَذَا اسْتِدْلَالٌ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ ". ([١٠٠])

وقد كان ابن كثير من المجلين لكلام ابن تيمية، ويذكره في التفسير ويقول عنه:

" الإمام، العلامة أبو العباس ابن تيمية ". ([١٠١])

وقال أيضًا: "شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية". ([١٠٢])

وهو في كثير من كلامه يوافق ابن تيمية رحمه الله في تقريره لعقيدة السلف.

ويقول رحمه الله في بيان حقيقة "الإيمان الشرعي": ، وأنه قول وعمل، خلافًا لما عليه الأشاعرة.

."أما الإيمان في اللغة: فيطلق على التصديق المحض

وقد يستعمل في القرآن، والمراد به ذلك، كما قال تعالى: (يُؤْمِنُبِٱللَّهِوَيُؤْمِنُلِلْمُؤْمِنِينَ)[سورةالتوبة ٦١]، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: (وَمَاأَنتَبِمُؤْمِن لَّنَاوَلَوْكُنَّاصَٰدِقِينَ)[سورةيوسف ١٧]وكذلك إذا استعمل مقرونًا مع الأعمال؛ كقوله: (إِلَّاٱلَّذِينَءَامَنُواوَعَمِلُواٱلصَّٰلِحَٰتِ) [الانشقاق: ٢٥، والتين: ٦].

---

[٩٩]- المرجع السابق: (٢٧٣/٥)

[١٠٠]-للاستزادة: يُنظر: (٢٤١/١٢) طبع-هجر، (٢٩٠/٩) طبعة-إحياء التراث ، ففيه كلام مطول لا يوجد في طبعة هجر.

[١٠١]- تفسير ابن كثير: (١/ ٧١٢)

[١٠٢]-المرجع السابق: (٤/ ٦٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

فأما إذا استعمل مطلقًا: فالإيمان الشرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادا وقولا وعملاً.

هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيد وغير واحد إجماعًا: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقد ورد فيه آثار كثيرة وأحاديث، أوردنا الكلام فيها في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنة." ([١٠٣]) ([١٠٤])

ولم يسلم الحافظ ابن كثير كغيره من أئمة الإسلام بالتهامه بالأشعرية.

ولنتأمل كلامه في البداية والنهاية حيث بقول رحمه الله تعالى: "ذكر أول المحنة والفتنة في هذه السنة كتب المأمون إلى نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وأن يرسل إليه جماعة منهم، وكتب إليه يستحثه في كتاب مطول وكتب غيره قد سردها ابن جرير كلها، ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وكل محدث مخلوق، وهذا احتجاج لا يوافقه عليه كثير من المتكلمين فضلًا عن المحدثين، فإن القائلين بأن الله تعالى تقوم به الافعال الاختيارية لا يقولون بأن فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق، بل لم يكن مخلوقا، بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق، بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة، وما كان قائما بذاته لا يكون مخلوقًا، وقد قال الله تعالى: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) [الانبياء: ٢] وقال تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) (الاعراف::١١) فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق آدم، فالكلام القائم بالذات

---

[١٠٣]- المرجع السابق:(١٦٥/١)

[١٠٤]- وللاستزادة" يُنظر عقيدة الحافظ ابن كثير بين التفويض والتأويل، لعبد الآخر غنيمي، دار الأخلاء، وموقع الإسلام سؤال وجواب.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس مخلوقًا، وهذا له موضع آخر. وقد صنف البخاري كتابًا في هذا المعنى سماه خلق أفعال العباد". ([١٠٥])

وخلاصة القول:

أن ابن كثير رحمه الله لم يكن أشعريًا، بل كان على مذهب أئمة السنة والأثر كمالك والشافعي وأحمد، يثبت صفات الله تعالى من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

المثال الثاني: إثباته لصفة المجيء لله تعالى

وذلك عند قولهتعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر:٢٢)

حيث يقول: "فَيَجِيءُ الرَّبُّ تَعَالَى لِفَصْلِ الْقَضَاءِ كَمَا يَشَاءُ، وَالْمَلَائِكَةُ يَجِيئُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ صُفُوفًا صُفُوفًا ". ([١٠٦])

المثال الثالث: إثابته لصفة الوجه لله تعالى

وذلك عند قوله تعالى: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (الرحمن:٢٧)

وهذه الآية كقوله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه)(القصص: ٨٨)، وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه (ذو الجلال والإكرام) أي : هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله: (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) (الكهف : ٢٨) ، وكقوله إخبارا عن المتصدقين: (إنما نطعمكم لوجه الله) (الإنسان :٩) ([١٠٧])

ويقول قال الحافظ ابن كثير في رسالته في " العقائد ":

---

[١٠٥]-البداية والنهاية: (١٠ / ٢٩٨)

[١٠٦]-تفسير ابن كثير: ص٣٩٩ -تفسير ابن كثير ت سلامة -المكتبة الشاملة الحديثة

[١٠٧]-المرجع السابق: (٤٩٥/٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

" فإذا نطق الكتاب العزيز ([108]) ووردت الأخبار الصحيحة بإثبات السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعظمة والمشيئة والإرادة والقول والكلام والرضى والسخط والحب والبغض والفرح والضحك وجب اعتقاد حقيقته، من غير تشبيه بشي من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، والانتهاء إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله من غير إضافة ولا زيادة عليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، وإزالة لفظه عما تعرفه العرب وتصرفه عليه، والإمساك عما سوى ذلك ". ([109])

ثناء العلماء عليه وعلى تفسيره وتصانيفه :

أولًا: قال الإمام الذهبي رحمه الله:

"الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الشافعي، ولد بعد السبعمائة أو فيها وسمع من ابن الشحنة وابن الزراد وطائفة، وله عناية بالرجال والمتون والفقه، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم"([110]).

وقال عنه رحمه الله أيضًا:"الإمام الفقيه المحدث البارع عماد الدين درس الفقه وأفتى وتفهم العربية والأصول، ويحفظ جملة صالحة من المتون والرجال وأحوالهم، وله حفظ ومعرفة"([111]).

ثانيًا: قال عنه المؤرخ الشهير ابن تغري بردي:([112])

---

[108]-عبارة "نطق الكتاب العزيز" ومثلها تكلم القرآن ونحو ذلك، الأصح تركها وأمثالها والعدول عنها، والاستعاضة عنها بما يناسب المقام بنحو: قال الله، وذكر الله، وبين الله في كتابه، ونحو، لأن الذي ينطق ويتكلم إنما هو المخلوق وكلام الله منزل عير مخلوق. الباحث.

[109]-[من كتاب " علاقة الإثبات والتفويض " لمعط رضا نعسان:ص: ٥١].

[110]- تذكرة الحفاظ، للذهبي: (٤ /٢٠١).

[111]-نقلًا عن المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي :(٢ /٤١٦)

شبكة الألوكة www.alukah.net

"الحافظ المفسر المؤرخ المعروف بابن كثير، ...، دأب وحصل وكتب، وبرع في الفقه والتفسير والحديث، وجمع وصنف ودرس وحدث وألف، وكان له إطلاع عظيم في الحديث والتفسير والفقه والعربية وغير ذَلِكَ." ([113])

ثالثًا: قال ابن حبيب فيه:

"إمام ذوي التسبيح والتهليل، وزعيم أرباب التأويل، سمع وجمع وصنَّف، وأطرب الأسماع بقوله وشنَّف، وحدَّث وأفاد، وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد، واشتهر بالضبط والتحرير، وانتهت إليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير"([114]).

رابعًا: قال عنه الزركلي:"حافظ مؤرخ فقيه"([115]).

خامسًا: قال السيوطي رحمه الله:

"الإِمَام الْمُحدث الْحَافِظ ذُو الْفَضَائِل، ...، لَهُ التَّفْسِير الَّذِي لم يؤلف على نمطه مثله، ...، الْعُمْدَة فِي علم الحَدِيث معرفَة صَحِيح الحَدِيث وسقيمه وَعلله وَاخْتِلَاف طرقه وَرِجَاله جرحًا وتعديلاً. ([116])

سادسًا: قال الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة: "وسارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته"([117]).

---

[112]- أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكياليشبقاوي الظاهري) .ولد بالقاهرة سنة: (٩١٣هـ-١٤١٠م) - توفى بالقاهرة سنة: (٨٧٤هـ-١٤٧٠م) (وتغري بردي محرفة من تنكري يردي، ويردي بالتركية تعني عطا الله. ، يُنظر: المقريزي، السلوك، مقدمة، ٣٤/١

[113]- المرجع السابق :(٢ /٤١٤-٤١٥)

[114]-ابن حجر: إنباء الغمر ١/ ١٢.

[115] الزركلي: الأعلام ١/ ٣٢٠.

[116]-طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: ٥٣٤)

[117]-ابن حجر: الدرر الكامنة ١/ ١٢٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

سابعًا: قال المؤرخ الشهير ابن تغري بردي عن كتابه (البداية والنهاية):"وهو في غاية الجودة... وعليه يعول البدر العيني في تاريخه"([118]).

ثامنًا: قال الشوكاني :في البدر الطالع:

" وله تصانيف، منها التفسير المشهور وهو في مجلدات، وقد جمع فيه فأوعى، ونقل المذاهب والأخبار والآثار، وتكلم بأحسن كلام وأنفسه، وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها ". ([119])، وهو يكتفي بتسميته بالتفسير.

وبالفعل فمن طالع كتب هذا الإمام الحبر البحر عرف مكانته في العلم ورسوخه فيه وتبين له علو قدره وسعة علمه واطلاعه رحمه الله.

وصدقوا والله جميعًا ورحمه الله الإمام ابن كثير، ونسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه رحمة واسعة وأن ويرفع درجته في المهديين وأن يضاعف مثوبته جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

السابع: محاسن التأويل للقاسمي

والقاسمي هو: أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، المعروف بالقاسمي نسبة إلى جده قاسم الملقب بالحلاق: (ت:١٣٣٢هـ)

قيمة تفسيره:

يعد تفسير محاسن التأويل لعلامة الشام القاسمي موسوعة حديثة في التفسير، لأنه كان من المتأخرين، فاطلع على تفاسير السابقين، وعرف ما تخللها من غث وثمين، فضمن تفسيره الكثير من نوادر الفوائد والفرائد، واختار أصح الآراء وأدقها، وعرضها بلغة العصر وأسلوبه.

أسلوبه في تفسيره:

لقد وضع القاسمي مقدمة لتفسيره قصد منها أن تكون مفتاحًا لقارئ تفسيره، ودليلاً للسالك فيه، وقد ضمنها مسائل وقضايا اشتملت على علم جم، ومعرفة

[118]- ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ١/ ١٧٧.

[119]-البدر الطالع: (١٥٣/١)

شبكة الألوكة www.alukah.net

واسعة، فكانت من الأهمية بمكان، وقد قال عنها المؤلف نفسه: "وهي قواعد فائقة، وفوائد شائقة، جعلتها مفتاحًا لمغلق بابه، ومسلكًا لتسهيل خوض عبابه، تعين المفسر على حقائقه، وتطلعه على بعض أسراره ودقائقه.

ومن القواعد التي قررها في هذه المقدمة قوله: "قاعدة في معرفة صحيح التفسير، وأصح التفاسير عند الاختلاف". وقوله: "قاعدة في أن غالب ما صح عن السلف من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع، لا اختلاف تضاد"، وقد احتوت المقدمة فوق ذلك بعض آراء القاسمي التي تعد مفتاحًا ومؤشرًا لآرائه المبثوثة في ثنايا تفسيره. وختم مقدمته ببيان شرف التفسير.

ولقد اعتمد القاسمي في مصنفه على الاستشهاد بالقرآن الكريم وكثيرًا من أقوال أئمة المسلمين الغابرين، ولم يقتصر في نقوله عن الأئمة الأربعة المعروفين بل كان يعتمد الرأي الحسن أين ما وجده، ومع هذا فهو يضفي على كتابه هذا وجميع كتبه اللون الأدبي البليغ الجميل.

منهج القاسمي في تفسيره:

يمكن لقارئ تفسير القاسمي أن يحدد معالم منهجه في تفسيره وفق المنحى التالي:

أولًا: ذكر المناسبات بين الآيات:

والقاسمي يعتمد في هذا المنحى على كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) للبقاعي.

ثانيًا: الحديث عن بعض علوم القرآن الكريم:

كالحديث عن المكي والمدني، وعد الآيات لكل سورة، وسبب تسميتها، وإن كان لها أسماء أخر، ويتحدث عن الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول.

ثالثًا-يتعرض للقراءات القرآنية الواردة في الآية:

والقاسمي ليس له منهج واضح في هذا الصدد، فيذكر القراءة أحيانًا من غير أن يذكر إن كانت قراءة متواترة أو شاذة، ويذكر القراءة أحيانًا ويوجهها، ويمر عليها أحيانًا من غير توجيه.

شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعًا-يبين عند تفسيره للآية معاني المفردات:

فتراه يتعرض بإيجاز للقضايا النحوية ذات الصلة بالآية، وقد يتوسع أحيانًا في إعراب بعض الكلمات، فيذكر وجوه الإعراب فيها.

خامسًا: يتعرض عند تفسيره لبعض الآيات للنواحي البلاغية:

فتراه يتعرض كذلك للنواحي البلاغية كالسر في استعمال لفظ قرآني ما، أو السر في تقديم لفظ وتأخير آخر، ويرد على ما يوهم ظاهره التكرار، كما يذكر بعض اللطائف لبعض الآيات، والأسرار الخفية الكامنة ورائها، ويعتمد في هذا المنحى بشكل أساس على تفسير (الكشاف) للزمخشري، وتفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود.

سادسًا: يُجري أحيانًا مقارنة بين بعض التعبيرات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد:

وذلك كالمقارنة بين قوله تعالى: {...وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا...} [البقرة:٣٥]، وقوله سبحانه: {...فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا...} [الأعراف:١٩].

سابعًا: يذهب القاسمي إلى أن وجه الإعجاز في القرآن الكريم يتمثل في جانب الفصاحة والبلاغة، وينضم إليه وجوه أخر:

منها إخباره عن أمور مغيبة ظهرت كما أخبر، ومنها كونه لا يمله السمع مهما تكرر، ومنها جمعه لعلوم لم تكن معهودة، عند العرب والعجم، ومنها إنباؤه عن الوقائع الماضية، وأحوال الأمم.

ثامنًا: يعتمد القاسمي في تفسيره منهج التفسير بالمأثور:

فيفسر القرآن بالقرآن، وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وبما ورد من آثار الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين. - يُعنى بذكر بعض حوادث السيرة النبوية عند تفسيره لبعض الآيات.

تاسعًا: -يتعرض لبعض الإشكالات التي قد ترد على ظاهر اللفظ والنظم القرآني:

شبكة الألوكة www.alukah.net

فيورد اعتراضات قد ترد على الآية، ويرد عليها معتمدًا في ذلك أسلوب الفنقلة (فإن قيل:...، قلت:...)، والاعتراضات التي يوردها قد تكون نقلاً، وقد تكون من عنده، أي افتراضية.

عاشرًا: ينبه على بعض الأمور الدقيقة، واللطيفة التي تشتمل عليها الآية:

فتراه يذكر ذلك تحت عنوان: (فائدة، أو فوائد، لطيفة، أو لطائف، تنبيه، أو تنبيهات).

حادي عشر: يُلاحظ على القاسمي اهتمامه بالمسائل العلمية:

فتراه يهتم بها وبالآيات ذات المضامين العلمية، بيد أنه لم يتحدث عن جميع الآيات التي فيها إشارات علمية، ويظهر اهتمامه في هذا المنحى من خلال نقله عن بعض علماء الفلك.

لكنه قد يورد أقوالاً لبعض المتقدمين، لا تتفق وحقائق العلم، ويوردها دون تعليق أو تعقيب.

ثاني عشر: منهج القاسمي في المسائل العقدية منهج سلفي:

فتراه في ضوء منهجه السلفي يحريص على تقرير عقيدة السلف في الاعتقاد، والدعوة إليها من خلال تفسيره. ويظهر ذلك جليًا في موضوع آيات الصفات، يقول في هذا الصدد:

"أعدل المذاهب مذهب السلف؛ فإنهم أثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه". ([١٢٠]) وسيأتي بعد قليل بيان نماذج من إثباته لصفات الرب جلَّ في علاه وفق منهج السلف

ثالث عشر: يرد القاسمي على مخالفي مذهب السلف في الاعتقاد أو العمل :

---

[١٢٠]- يُنظر: محاسن التأويل: (٥٢٢٧/٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

فتراه يرد على المعتزلة، والشيعة، والقدرية، وأهل الكتاب، وأصحاب البدع، وهو في رده على هذه الفرق المختلفة والمخالفة يعتمد النقل غالبًا عن المتقدمين، وخاصة ابن تيمية، وقد يكون رده ابتداء منه.

رابع عشر: يستنبط من آيات الأحكام أحكامًا شرعية، متوسعًا أحيانًا، ومختصراً أخرى :

فتراه يفعل هذا من غير تعرض لمذاهب الفقهاء الأربعة إلا في أحوال نادرة، وجلُّ اعتماده في هذا المنحى على ما يقرره ابن القيم، وشيخه ابن تيمية رحمهما الله.

خامس عشر: يعتمد القاسمي في تفسيره على النقل من كتب كثيرة :

فتراه ينقل كذلك من التوراة والإنجيل، وهو في هذا المسلك يتعقب أحيانًا ما ينقله بالقبول أو عدمه، وأكثر المواضع التي ينقلها، ينقلها من غير تعقيب، ومع أنه ينقل من التوراة والإنجيل إلا أن له موقفًا جيدًا من القضايا التي خاض فيها بعض المفسرين، فيرد بعض الإسرائيليات التي ذكروها في تفاسيرهم، كما فعل في قصة الشجرة التي أكل منها آدم عليها السلام، حيث قال في هذا الصدد: "لم يرد في القرآن المجيد، ولا في السنة الصحيحة تعيين هذه الشجرة؛ إذ لا حاجة إليه؛ لأنه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة. وما لا يكون مقصودًا، لا يجب بيانه."

أسلوب القاسمي في تفسيره:

نظراً لاعتماد القاسمي على النقولات الكثيرة من كتب لمؤلفين اختلفت أساليبهم جزالة وسهولة؛ فهو ينقل عن الطبري، والرازي، والزمخشري، وأبي السعود، وابن تيمية، وغيرهم من العلماء الأثبات، ومن ثم نجد في (تفسيره) ما هو سهل الأسلوب ميسر الفهم، ونجد فيه أيضًا ما هو صعب الأسلوب عسير الفهم. وعلى الجملة، يمكن القول: إن ما عبر به القاسمي بأسلوبه الخاص فهو سهل واضح قريب الفهم، ولو قارنا ما كتبه القاسمي بأسلوبه مع ما نقله عن المتقدمين، فستكون نسبة ما عبر عنه بأسلوبه قليلة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ملاحظات على تفسير (محاسن التأويل):

كما هو شأن كل عمل بشري لا يخلو من قصور ونقاط ضعف، وما كتبه القاسمي في تفسيره لا يخرج عن هذه القاعدة، فالقارئ لتفسيره يقف على الملاحظات التالية:

أولًا: كثرة النقول عن العلماء الأثبات :

فترى نقله لم يكن دعمًا لرأي يراه، بل جعل النقل هو صلب الكتاب، وهو في عمله هذا ينقل كثيرًا من العبارات التي لا علاقة لها بالتفسير البتة، ولو اقتصر في نقله على ما له علاقة بالآية موضع التفسير فقط لكان عمله أقوم منهجًا، وأهدى سبيلًا.

ثانيًا: لم يكن للقاسمي منهج واضح في أثناء ذكره للقراءات القرآنية

فتراه لا يعرض لجميع القراءات الواردة في كلمات القرآن، بل يعرض لبعضها، ويغفل عن بعضها الآخر، ولا يلتزم ذكر المتواتر من القراءات، بل يذكر المتواتر والشاذ، وتارة ينسب القراءة لقرائها، وتارة لا ينسبها، بل يكتفي بالقول: "وقُرئ"، وهذا يوقع القارئ في لبس وتشويش، والقراءة الشاذة يذكر أحيانًا شذوذها، وأحيانًا أخرى لا يذكر ذلك، وقد ينقل عن بعض المفسرين ترجيحهم لبعض القراءات دون تعقيب، بل ينقل عن الزمخشري تضعيفه لقراءة متواترة دون أن يعقب على ذلك، كما فعل عند تفسيره لقوله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ..} [محمد:٢٢]، فقد نقل قول الزمخشري: "وقرئ {عَسَيْتُمْ} بكسر السين، وهي ضعيفة"، نقلها من غير تعقيب، مع أنها قراءة متواترة قرأ بها نافع وقرأ الباقون بفتحها، ومما يؤخذ عليه في هذا الصدد أيضًا أنه لا يلتزم منهجًا محددًا في توجيهه للقراءات القرآنية، فهو غالبًا يوجه تلك القراءات، وأحيانًا يمر عليها مرور الكرام من غير توجيه.

ثالثًا: يستطرد في ذكر موضوعات لا علاقة لها بتفسير الآيات:

شبكة الألوكة www.alukah.net

فتجده مثلاً كثيرًا ما يورد أحاديث نبوية لا صلة لها بموضوع الآية موضع التفسير.

رابعًا: نقله عن التوراة والإنجيل من غير وضع ضوابط معينة، وشرائط محددة لهذا النقل.

خامسًا: يفسر بعض الآيات التي تحمل مضمونًا علميًا ببعض النظريات العلمية، التي لم تثبت صحتها بعد:

وليس يخفى أن تفسير الآيات اعتمادًا على نظريات قابلة للخطأ والصواب، ليس بالنظر السديد؛ لأنه يؤدي إلى الشك في كلام الله إذا تبين خطأ النظرية التي فسرت بها الآية، ومن ثم فإن ما نقله القاسمي عن بعض علماء الفلك ينبغي التنبه إليه، والتنبيه عليه، وبيان عدم صحته، حتى لا يغتر به أحد.

سادسًا: توسع القاسمي في بعض الأحكام الشرعية:

والتي كان ينبغي ألا تذكر إلا بالإشارة إلى بطلانها، وتنبيه الناس عليها، فضلًا عن التوسع فيها، ومحاولة بيان أن لها وجهًا مقبولًا، وقد رفضها العلماء الأثبات، ولم تلق قبولًا عندهم، كحديثه عن الاختلاف في حكم الزواج بما زاد على الأربع. على أن هذه الملاحظات لا تقلل من أهمية هذا التفسير في المكتبة الإسلامية، ولا تنفي في الوقت نفسه وجود كثير من الفوائد فيه؛ فإذا كان القاسمي رحمه الله قد جانبه الحق في تقريره لبعض القضايا، فقد وُفِّق في تقرير العديد من القضايا.

ويبقى أن نشير إلى أن هذا التفسير صدرت طبعته الأولى سنة (١٣٧٦هـ-١٩٥٧م) في سبعة عشر مجلدًا، بتحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، وصدرت منه طبعة أخيرة في تسعة مجلدات عن دار الكتب العلمية سنة (١٤١٨هـ)، بتحقيق الأستاذ محمد باسل عيون السود. ([١٢١])

[١٢١]-للاستزادة: يُنظر: القاسمي ومنهجه في التفسير: عن موقع طريف الإسلام-بتصرف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا ولقد ألصقت بعض التهم العقدية والمنهجية في حق القاسمي والتي منها:

١-أنه تأثر بمدرسة محمد عبده، بل ويسير على طريقته وطريقة جمال الدين الأفغاني(الإيراني).

٢-ومنها نقله في تفسره نقولات عن ابن عربي الملحد، وهو غير ابن العربي المالكي صاحب العواصم من القواصم. ([١٢٢])

٣-أُخِذَت عليه مآخذ عدة حول كتابيه: "تأريخ الجهمية والمعتزلة"، و"ميزان الجرح والتعديل." كدفاعه عن الجهم بن صفوان وثنائه على ابن عربي. ([١٢٣])

٤-ومنها أنه اتهم بميله للتقريب مع الشيعة والتهوين من شأنهم

٥-ومنها أنه كان صوفيًا خالصًا شافعيًا محضًا، وغير ذلك.

وأنه: "درج على طريقة كثير من شيوخ عصره، يسير بسيرهم، ويأخذ بمنهجهم، وقيل في ذلك: أنه كتب بخطه في تلك السنة في آخر المولد الذي هذَّبه من مولد عائشة الباعونية: "تم على يد مختصره الفقير إلى الغني الكبير محمد جمال الدين أبي الفرج القاسمي الأشعري الدمشقي النقشبندي الخالدي الشافعي، في ٤ ربيع الأنور سنة (١٣٠٦هـ)". ([١٢٤])

وإحقاقًا للحق ننقل ثناء العلماء عليه:

أولًا: مَدَحَهُ أمير البيان شكيب أرسلان فكان مما قال عنه:

---

[١٢٢]-وإنما ذكر ذلك في موضعين اثنين، الأول: (٤٥٨/٣) ورد في كلام لشيخ الإسلام، والثاني: (١٧٥/٧) عقّبه بكلام لشيخ الإسلام.

[١٢٣]-ابن عربي الملحد القائل بوحدة الوجود، غير ابن العربي المالكي صاحب العواصم من القواصم.

[١٢٤]- د. نزار إباظة في كتابه [جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام، (ص:٣٠٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

"إنه لم يعط أحد شطر الجمال المعنوي الذي يحبه الله تعالى، ويشغف به عباد الله تعالى، بدرجة المرحوم([١٢٥]) الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي، الذي كان في هذه الحقبة الأخيرة جمال دمشق، وجمال القطر الشامي بأسره، في غزارة فضله، وسعة علمه، وشفوف حسه، وزكاء نفسه، وكرم أخلاقه، وشرف منازعه، وجمعه بين الشمائل الباهية، والمعارف المتناهية، بحيث أن كل من كان يدخل دمشق، ويتعرف إلى ذاك الحبر الفاضل، والجهبذ الكامل، كان يرى أنه لم يكن فيها إلا تلك الذات البهية، المتحلية بتلك الشمائل السرية، والعلوم العبقرية، لكان ذلك كافيًا في إظهار مزيتها على سائر البلاد، وإثبات أن أحاديث مجدها موصولة الإسناد.

وقال أيضًا:

لقد تعرفت إلى العلامة المشار إليه رحمه الله، منذ ثلاث وعشرين سنة أو أكثر وذلك بواسطة صديقه الأستاذ العلامة نادرة عصره، الشيخ عبد الرزاق البيطار، قدس الله روحه اللطفية، فقد كان هذان الجهبذان فرقدين في سماء الشام، يتشابهان كثيرًا في سجاحة الخلق، ورجاحة العقل، ونبالة القصد، وغزارة العلم، والجمع بين العقل والنقل، والرواية والفهم". ([١٢٦])

ثانيًا: قال عنه الشيخ رشيد رضا:

"هو علامة الشام ونادرة الايام والمجدد لعلوم الاسلام محيي السنة بالعلم والعمل والتعليم والتهذيب والتأليف وأحد حلقات الاتصال بين هدى السلف والارتقاء الذي يقتضيه الزمن الفقيه الأصولي المفسر المحدث الأديب المتفنن التقى الأواب

[١٢٥]-عبارة: " المرحوم" فيها نوع جزم للميت بالرحمة، وهذا فيه نوعرجم بالغيب، ومثلها عبارة " المغفور له " ونحوها، وهي عبارات لا تجوز أبدًا في حق ميت، إلا لمشهود له بالجنة بنص وحيي التنزيل، ويستعاض عنها بالدعاء بالرحمة والمغفرة بنحوقول" رحمه الله "، وقول" غفر الله له"، ونحوها من صيغ الدعاء المشروعة. الباحث.

[١٢٦]-يُنظر مقدمة: قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: (٨/١)

شبكة الألوكة www.alukah.net

الحليم الأواه العفيف النزيه صاحب التصانيف الممتعة والابحاث المقنعة، صديقنا الصفي، وخلنا الوافي، وأخونا الروحي، قدس الله روحه، ونور ضريحه، وأحسن عزاءنا عنه." ([١٢٧])

ثالثًا: قال الشيخ محب الدين الخطيب في مقدمته لكتاب إصلاح المساجد:

" السيد جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ مصباح من مصابيح الإصلاح الإسلامي التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة في الثلث الأول من القرن الهجري الرابع عشر فنفع الله بعلمه وعمله ما شاء أن ينفعهم ".([١٢٨])

رابعًا: قال الشيخ المراغي:

" كان القاسمي في مقدمة علماء دمشق، وامتاز عن كثير منهم، واشتهر أمره، وكان مستقل الرأي، لا يميل إلى الخرافات، محتفظًا بكرامته، لا يحب الفضول والزلفى، ولم يكتف بالتبحر في العلوم الشرعية بل درس العلوم العصرية ([١٢٩])

خامسًا: قال الشيخ عبد الرازق البيطار في ترجمته له:

" كان القاسمي علامة الشام، آية في المحافظة على الوقت، والمواظبة على العمل، كان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة، ومدونات السنة وشروحها،

---

[١٢٧] -مجلة المنار: (٥٥٨/٨)، وتراجم العلماء المعاصرين للعالم الإسلامي تأليف أنور الجندي طبعه مكتبة الأنجلو المصرية. (د.ت)

[١٢٨] - ((مقدمة إصلاح المساجد من البدع والعوائد: تأليف / محمد جمال الدين القاسمي، خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني ص٦نشر المكتب الإسلامي بيروت ط٥سنة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.))

[١٢٩] - ((الفضل المبين في طبقات الأصوليين تأليف الأستاذ عبد الله بن مصطفى المراغي ج٣ص١٦٨طبع ونشر عبد الحميد أحمد حنفي ـ مصر)).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومؤلفات في أصول الدين وأمهات الفقه وأصوله، ومطولات التاريخ والأدب، وكتب المقالات والنحل ....". ([١٣٠])

سادسًا: قال الأستاذ محمد بك كرد علي:

"ولكن إرادة المولى قضت([١٣١]) بأن لا تحرم هذه الأمة من أعلام يصدعون بالحق فيجددون لها أمر دينها، ويستطيبون الأذى في إثارة العقول والرجوع بالشرع إلى الحد الذي رسمه الشارع وأصحابه والتابعون والأئمة الهادون المهديون، ومن هؤلاء المجددين نابغة دمشق فقيدنا العزيز السيد ((جمال الدين القاسمي)) ".

وقال في نفس الموضع أيضًا:

" تذرع الفقيد بعامة ذرائع النفع لهذه الأمة فكان إمامًا في تآليفه الوفيرة، إمامًا في محرابه ومنبره ومصلاه، رأسًا في مضاء العزيمة، ورأسًا في العفة". ([١٣٢])

---

[١٣٠]- ((حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تأليف الشيخ عبد الرازق البيطار، تحقيق محمد بهجة البيطار ج١ص٤٣٨، ص٤٣٩ طبع المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م)).

[١٣١]-قال الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- :

(المشيئة صفة من صفات الله تعالى والصفة تضاف إلى من يستحقها ، ولله تعالى المشيئة الكاملة والقدرة التامة ، ومشيئته سبحانه فوق كل مشيئة ، وقدرته سبحانه فوق كل قدرة . فيقال : شاء الله سبحانه ، ولا يقال : شاءت حكمة الله ، ولا يقال : شاءت قدرة الله ، ولا : شاء القدر ، ولا : شاءت عناية الله ، وهكذا من كل ما فيه نسبة الفعل إلى الصفة ، وإنما يقال : شاء الله ، واقتضت حكمة الله ، وعنايته سبحانه).

معجم المناهي اللفظية - حرف الشين.

[١٣٢]- ((تفسير القاسمي، ط. دار الحديث القاهرة ت: حمدي صبح، أحمد بن علي، ٢٠٠٢م، صـ ٨، ٩)).

شبكة الألوكة www.alukah.net

سابعًا: قال عاصم البيطار ولد الشيخ بهجة :

"وكان والدي ملازمًا للشيخ جمال الدين ، شديد التعلق به ، وكان للشيخ – رحمه الله- أثر كبير ، غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة ، والبعد عن الزيف والقشور ، وحسن الانتفاع بالوقت والثبات على العقيدة ، والصبر على المكاره في سبيلها ، وكم كنت أراه يبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي". ([١٣٣])

وإحقاقًا للحق كذلك ننقل نبذة من عقيدته السلفية في محاسن التأويل أولًا:

المثال الأول: إثباته لصفة الفوقية والعلو لله تعالى:

يقول عند قوله تعالى: (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩)

[سورةالنحل ٥٠]أي: من الطاعات والتدبير. واستدل بقوله: (من فوقهم) على ثبوت الفوقية والعلو له تعالى، وقد صنف في ذلك الحافظ الذهبي كتاب (" العلو ") وابن القيم كتاب (" الجيوش الإسلامية ") وغيرهما. ([١٣٤])

المثال الثاني: إثباته لصفة العلو لله تعالى كذلك:

يقول في قوله تعالى: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّماءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ) (الملك:١٦) خطاب للكافرين. أي: أأمنتم العليّ الأعلى أن يخسف بكم الأرض فيغيبكم إلى أسفل سافلين. فَإِذا هِيَ تَمُورُ أي: تضطرب وتهتز هزا شديدا بكم، وترتفع فوقكم، وتنقلب عليكم. ([١٣٥])

إثباته لصفة اليد لله تعالى المثال الثالث:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ إِنَّما يُبايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) (الفتح:١٠)

---

[١٣٣]- رجال من التاريخ لـ "على الطنطاوي"(ص: ٤١٤)

[١٣٤]- محاسن التأويل: (٣٣٧/٦)

[١٣٥]-المرجع السابق: (٢٩٢/٩)

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) تأكيد لما قبله. أي أن يد الله عند البيعة فوق أيديهم، كأنهم يبايعون الله ببيعتهم نبيّه صلّى الله عليه وسلّم. ([١٣٦])

المثال الرابع: إثباته لصفة الاستواء لله تعالى:

فقد عقد فصلًا تحت عنوان: (فصل في إبانة قول أهل الحق أهل السنة والجماعة)

ثم قال: "فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون. قيل له: قولنا الذي نقول به التمسك بكتاب ربنا، وسنة نبينا، وما روي عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل، نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون، ولما خالف قوله مخالفون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين.

ثم قال في: (باب الاستواء على العرش) إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟

قيل له: نقول: إن الله مستو على عرشه، كما قال: (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى) (طه:٥) وقد قال الله: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر: ١٠] ، وقال: (بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ) [النساء: ١٥٨]، وقال: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ)[السجدة: ٥] ، وقال حكاية عن فرعون([١٣٧]):

---

[١٣٦]-المرجع السابق: (٤٧٨/٨)

[١٣٧] .... **عبارة: (حكى الله)** هذه العبارات التي يعبر بها بعض المفسرين أو الفقهاء أو غيرهم كثيرة، وهي في كلام المتحدثين في دروسهم أكثر منها في مؤلفات المفسرين، لقدرة المؤلف على التصرف واختيار العبارات، بخلاف المتحدث فإنه يضطر في مواقف كثيرة إلى التعبير بعبارة موهمة أو يسبق لسانه أو يعتاد على عبارة قد تكون متضمنةً لأمر غير مشروع أو مشكوك في صحته أو نحو ذلك، وقَلَّ مَن يَسلَمُ مِن ذلك إلا من رحم الله.

رأي ابن عطية الأندلسي:

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولذلك اعتذر ابن عطية في مقدمة تفسيره، وذكر أنه قد يرد في تفسيره بعض العبارات التي اعتاد المفسرون على تكرارها مثل قولهم: حكى الله عن فلان كذا، ونحو هذه العبارة مما هو قريب منها. وخَرَّجها على أن جوازها يرتبط بالقصد منها، وليس المقصود منها نسبة هذه الصفات لله، وإنما نسبتها للآيات القرآنية. وقد ذكرها بقوله: (بابٌ في الألفاظ التي يقتضي الإيجازُ استعمالها في تفسير كتاب الله تعالى) فذكر أن الباعث على استخدامها طلب الإيجاز والاختصار من المؤلف. ثم قال تحت هذا العنوان: (اعلم أَنَّ القصد إلى إيْجازِ العبارةِ قد يسوقُ المتكلمَ في التفسير إلى أَنْ يقولَ: خاطبَ اللهُ بهذه الآيةِ المؤمنين، وشَرَّفَ اللهُ بالذكرِ الرجلَ المؤمنَ من آل فرعونِ، وحكى اللهُ تعالى عن أُمِّ موسى أَنَّها قالت قُصِّيهِ، ووَقَّفَ اللهُ ذريةَ آدم على ربوبيتهِ بقولهِ: [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ] {الأعراف:١٧٢}، ونحو هذا من إسنادِ أفعالٍ إلى الله تعالى لم يأتِ إسنادُها بتوقيفٍ من الشَّرعِ.

وقد استعملَ هذه الطريقةَ المفسرونَ والمُحدِّثونَ والفقهاءُ واستعملها أبو المعالي في الإرشادِ، وذكر بعضُ الأصوليينَ أَنَّهُ لا يَجوزُ أَن يُقالَ: حكى اللهُ، ولا مَا جَرى مَجراهُ. ثم قال /: (وأَنا أَتَحفَّظُ منهُ في هذا التعليقِ جَهْدِي، لكنيِّ قَدَّمْتُ هذا البابَ لِمَا عَسى أَنْ أَقَعَ فيه نادرًا واعتذارًا عمَّا وَقَعَ فيه المُفسِّرونَ من ذلك). ينظر: المحرر الوجيز (طبعة قطر) (١/٦٣-٦٧).

وقال ابن عباد في رسائله الكبرى: (وقد رأيت في مواضع من كتبكم شيئًا أردت أن أنبهكم عليه، وهو أنكم تقولون فيها: حكى الله عن فلان، وحكى عن فلان كذا، وقد يقع مثل هذا في كلام الأئمة، وهذا عندي ليس بصواب من القول؛ لأن كلام الله تعالى صفة من صفاته، وصفاته تعالى قديمة، فإذا سمعنا الله تعالى يقول كلامًا عن موسى ÷ مثلًا وعن فرعون، أو أمة من الأمم، فلا يقال: حكى عنهم كذا؛ لأن الحكاية تؤذن بتأخرها عن المَحكي، وإنما يقال في مثل هذا: أخبر الله تعالى، أو أنبأ، أو كلام معناه هذا مما لا يفهم من مقتضاه تقدم ولا تأخر). ينظر: حاشية محقق المحرر الوجيز (طبعة قطر) (١/٦٣)...وينظر: ملتقى أهل التفسير... بتاريخ ١٤٢٦/٤/١١هـ.

*** يقول الباحث:**

والأسلم الذي لا شك فيه-استخدام الألفاظ الصحيحة-كالألفاظ الواردة في القرآن نحو قال الله، وكذلك الألفاظ الواردة بمعني الإخبار والقصص فيقال: أخبر الله، وأنبأ الله وقص الله، وذكر الله، ونحو ذلك، أو الألفاظ المستقاة من صفات الرب جل في علاه، وكذلك استخدام ما درج

شبكة الألوكة www.alukah.net

(وَقالَ فِرْعَوْنُ يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبابَ أَسْبابَ السَّماواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كاذِبًا) ". ([١٣٨])

ثم هو يتابع ويتعقب أهل الأهواء المناوئين لأهل السنة كالمعتزلة والجهمية والحرورية ويدحض افتراءاتهم فيقول:

وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قوله: (الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى) أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله على عرشه، كما قال أهل الحق. وذهبوا في الاستواء إلى (القدرة)، فلو كان هذا كما ذكروه، كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، لأن الله قادر على كل شيء، فالله قادر على الأرض، وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم.

عليه السلف من ألفاظ (أعني القرون الثلاثة) المزكاة على لسان من أنزل عليه القرآن عليه الصلاة والسلام.

*** ويقول الباحث معتذرًا للقاسمي:**

ولعلالقاسمي وجد لنفسه مندوحة وسعة وحجة في استخدام عبارة (حكى الله) ومثلها من الألفاظ، لاستخدام واستعمال من سبقه لها، أو على أن باب الإخبار عن الله تعالي أوسع من باب الصفات وقد أشار إلى هذا المعني غير واحد من أئمة أهل العلم المعتبرين كشيخ الإسلام ابن تيمية: في مجموع الفتاوي (١٤٢/٦٠)، وتلميذه الإمام ابن القيم في بدائع الفوائد (١٦١/١).

*** وما ذكره الباحث:**

عملًا بالأكمل والأحسن والأتم، وسدًا لذريعة التوسع في هذا الباب، ولا سيما في زمن فشا فيه الجهل، وعمت فيه البلوى، وانتشرت فيه البدع والمحدثات، وعم فيه البعد عن مصادر التلقي المستقاة من مشكاة الوحي، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلي سواء السبيل، وهو أعلى وأعلم بالصواب.

وللإفادة" يُنظر: د. عرفة بن طنطاوي-عناية الإسلام بتربية الأبناء-(ص: ٤٧٨)- رسالة ماجستير-تحت الطبع.

[١٣٨]- المرجع السابق: (٧٤/٥)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يعقب ويقول:

فلو كان الله مستويًا على العرش بمعنى (الاستيلاء)، وهو عزّ وجلّ مستول على الأشياء كلها، لكان مستويًا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء.....، ولم يجز أن يكون الاستواء على العرش (الاستيلاء)، الذي هو عامّ في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش دون الأشياء كلها". ([١٣٩])

المثال الخامس: إثباته لصفة المجيء لله تعالى:

(وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر:٢٢)

حيث يقول: ومعنى (وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) قال ابن كثير: أي وجاء الرب، تبارك وتعالى، لفصل القضاء، كما يشاء والملائكة بين يديه صفوفًا صفوفًا. وسبقه ابن جرير إلى ذلك وعضده بآثار عن ابن عباس وأبي هريرة والضحاك في نزوله تعالى من السماء يومئذ في ظلل من الغمام، والملائكة بين يديه، وإشراق الأرض بنور ربها. ومذهب الخلف في ذلك. ([١٤٠])

وإحقاقًا للحق كذلك نذكر أن الله قد سخر له أقلامًا منصفة:

منها: قلم الشيخ محمد ناصر العجمي الذي جمع كتابًا عن القاسمي - رحمه الله، وقد وسمه بـ ((وليد القرون المشرقة)) والكتاب المذكور يقع في قرابة صفحة٤٠٠ نقل عنه في غير ما موضع دفاعه عن عقيدة السلف و ابن تيمية و ابن القيّم و لو لم يكن من حسناته إلاّ الشيخ محمد بهجة البيطار - رحمه الله - لكفى له بها منقبة إذ أن القاسمي - رحمه الله - غرس حب السلف و ما كانوا عليه في قلب تلامذته غرسًا و ذلك أنّه "" ... في عام ١٣٤٢هـ انتخب عضوًا في المجمع و كان باكورة أعماله فيه أن ألقى في ردهته - بُعيد - انتخابه محاضرة في حياة (شيخ الإسلام ابن تيميّة) و هي من أوائل ما كُتب عنه في

---

[١٣٩] - المرجع السابق:٥(/٧٥)

[١٤٠] -المرجع السابق: (٤٧١/٩)

شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا العصر " [جمال الدين، وليد القرون المشرقة صـ ٢٣٩- ٢٤٠] و أرجوا النّظر في محنته التي نُقلت من خطّ يديه و جاءت في قرابة ٤٠ صفحة . فرحم الله هذا الإمام ولا يسلم من الزلاّت إلاّ سيد الكائنات صلى الله عليه وسلّم. ([١٤١])

وختامًا وإحقاقًا للحق كذلكيسوق الباحث كلامًا منصفًا للوصابي به يُختتم هذا المبحث الهام عن عقيدة ومنهج القاسمي رحمه الله حيث يقول:

"قرأت نقاشًا عن سلفية العلامة جمال الدين القاسمي بين مؤيد، وذلك لما عُلم عنه -رحمه الله- من اعتقادٍ لمذهب السلف، ودفاعٍ شديد عنهم، وطبعٍ لكتبهم، وغيرها من أفعاله الحميدة المجيدة.

وبين معارض، وذلك لما حصل منه -عفا الله عنه- من ثناء لبعض أهل البدع كالجهم وابن عربي والنصير الطوسي ونحوهم.

حتى وصمه بعض هؤلاء: بالفجور والضلال والإضلال!

وتالله، لقد قفّ شعري، وانعقد لساني حين قراءتي هذا الجور!

ولكن: الله يحكم بين عباده، "إن الله يحكم ما يريد." (المائدة:١)

كان -رحمه الله-على عقيدة أهل زمانه، وما درج عليه أهل بيئته وأوانه، من طرق صوفية، وأوراد بدعية، إلى الثلاثين من عمره، فقرأ كتب شيخ الإسلام، وابن القيم؛ فتنور عقله، وزكى فؤاده، وابتهج قلبه؛ فاعتزل تلك الفرق كلها، وأقبل على طريقة السلف الصالح، فيها يؤلّف ويؤالف، وعنها يدافع ويحاجف.

ومع رجوعه التام لمذهب السلف الصالح إلا أنه بقيت هناك شوائب، ورسبت

---

[١٤١]-وللاستزادة: ينظر-عقيدة الشيخ جمال الدين القاسمي: (ص:١٦٣) عن الشاملة-ملتقى أهل الحديث في كلمة عابرة للأخ المنصف: فهد السيسي-حفظه الله-والذي يقول: قرأته كاملاً بحمدالله لم أقف فيه على شيء من هذا القبيل-بتصرف يسير من الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

رواسب، ظهرت في بعض تواليفه.

فقد وُجد في بعضها ما يشوب.. من مدحه لابن عربي الحاتمي، والنصير الطوسي، والجهم بن صفوان، ودعوته إلى المقاربة بين الشيعة والسنة وغيرها من الأخطاء..

فأقول في ذلك:

هناك بعضًا من الأخطاء كانت قبل رجوعه لمذهب السلف؛ لأنه ابتدأ التأليف، وهو في الحادية والعشرين من عمره!

فكان في تلك المؤلفات شيئًا مما تأثر به من مشايخه وأهل بلاده.. حتى إنه كان يكتب في بعضها: الأشعري النقشبندي؛ لأنه كان قبلًا نقشبنديًا أشعريًا.

ففي سنة ١٣٠٦هـ قال في آخر المولد الذي هذَّبه من مولد عائشة الباعونية : "تم على يد مختصره الفقير محمد جمال الدين أبي الفرج القاسمي الأشعري الدمشقي النقشبندي الخالدي الشافعي." ([١٤٢])

يقول الدكتور نزار أباظة عن عام ١٣١٣هـ :

"ذلك العام الذي يجب أن نجعله بداية التفتح الحقيقي عند الشيخ -يعني: القاسمي- فيما أخذ به نفسه، وعُرف به بين الناس، وغدا صاحب دعوى لها أبعادها ... استحكمت عنده فيما أظن وتبلورت تماماً عند عام ١٣٢١هـ عام رحلته إلى مصر؛ لأنه هو نفسه جعل ذلك العام كما أشرنا من قبل حدًا فاصلًا بين مؤلفاته التي أجازها -وهي تمثل أفكاره- وبين مؤلفاته التي قال: "إنَّ له فيها وقفة ونظرًا." ([١٤٣])

وهناك بعضًا من أخطائه وآرائه في بعض مؤلفاته.. كانت بعد رجوعه لمذهب السلف، كتأليفه لكتاب (تاريخ الجهمية والمعتزلة) الذي فرغ منه عام ١٣٣٠هـ،

---

[١٤٢]- يُنظر: جمال الدين القاسمي أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام:(ص:٣٠٤).

[١٤٣]- المرجع السابق: ٣٠٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

والذي فيه مدح وثناء للجهمية والمعتزلة! فأقول في ذلك:

لا جرم أن نقول عن هذا: أخطأ -رحمه الله- وجل من لا يسهو، والعصمة عن الجميع بمعزل ([١٤٤])، ويعذر فيها؛ لأنها لم تكن هذه الأمور منهجاً له، منها وإليها يصدر، وإنما أخطاء وقعت له في مسيرته العلمية والعملية، لها أسبابها..

ومنها:

١-نشأته نشأة صوفية أشعرية حتى الثلاثين من عمره -كما قدمنا- فلا شك أنها بقيت بعض الرواسب.

٢-شيوخه الذين تلقى عنهم، ونهل منهم، وشرب من معينهم.. كان أكثرهم على هذا المشرب.

٣-كثير من المخطوطات لم تكن قد نُبشت وأُخرجت للعيان؛ ليكون على بصيرة أكثر من أمره.

٤-لم يطل به العمر؛ ليتراجع عن بعض اعتقاداته الخاطئة؛ إذ كان -رحمه الله- حين وفاته في التاسعة والأربعين من عمره فقط.

فلهذه الأسباب، والنظر في كتبه السلفية الأخرى؛ لا بد من الاعتذار له، وغفران نزر زلاته في بحر حسناته، والدعاء له، والترحم عليه.

وليس هذا ببدع من القول أو الفعل، بل لا يزال العلماء مختلفين ويختلفون في أشخاص، وفي أفكار -وإن كانت خاطئة-.. فهذا يبدّع وذاك يلمّع، وكل يقدِّم أدلته وبراهينه، والحق واحد لا يتعدد، والفصل يوم الدين عند الواحد الأحد.

لكن أن نجعل ممن أثنى على شخص، أو تبنى رأيًا خاطئًا. مهيعًا للنيل منه، أو أن نلحقه بمن أثنى عليه، أو نخرجه من السلفية التي تبناها، وذاد عنها، ونافح من أجلها، وتحمل في سبيلها السجن ونابي الكلمات، والهجرة وقاسي العبارات..

فهذا شطط في الرأي، وخروج عن الإنصاف، بل لا بد من إقامة الحجة عليه،

[١٤٤]-إلا من عصم الله أعني رسله وأنبياءه الكرام عليهم السلام أجمعين. الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفهم المحجة..

ومن يستطيع أن يقول: أن العلامة القاسمي أقيمت عليه الحجة في أخطائه؟!

وقد اعتذر له العلامة عبد المحسن العباد في أثناء رده على أباطيل المالكي، مستعضدًا بما في كتبه الأخرى من ذم البدع والمبتدعة.

وقد أثنى عليه كثير من أهل العلم، كالشيخ أحمد شاكر، بل وجد بخطه وهو يطلب منه الإجازة. وكذلك الشيخ الألباني، والشيخ ابن باز، وغيرهم من أهل العلم والفضل.

وقد ظن بعض الناس أن كتابه: (تاريخ الجهمية والمعتزلة) هو مدح محض لهاتين الفرقتين الضالتين؟!

والصواب: إنما هو تاريخ لهما، وذكر بعضًا مما لهما وما عليهما، ولكنه وقع -رحمه الله- في بعض الزلل من الثناء عليهما، والاعتذار لهما.

وقد حاول بعض الباحثين التشكيك في نسبة كتاب (تاريخ الجهمية والمعتزلة) للمؤلف؟

ولكن الحق: أنه كتابه، كتبه ببنانه، وصاغه بجنانه.

وإن الباحث إبراهيم الحسن في رسالته للماجستير (القاسمي ومنهجه في التفسير): أثبت صحة نسبة الكتاب للقاسمي، وذكر أن هذا الكتاب نشر في (مجلة المنار) في حياة المؤلف.

قلت: ولعل ثناء القاسمي على الجهمية والمعتزلة.. كان سياسيًا، لا دينيًا عقديًا.

قلت هذا؛ لأن المتأمل يظهر له أن في كتابه هذا تناقضًا واضحًا، حتى العلامة الألوسي استشكل ذلك في بعض رسائله إليه!

فبينما هو يعتذر لهم، ويصفهم بالاجتهاد، وأن خطأهم مغفور؛ نراه ينقل -في نفس الكتاب- أقوالاً لابن تيمية وغيره تقضي بضلالهم وتضليلهم، دون ردٍ لهذه الأقوال.

وله كلام قوي في الرد على الجهمية والأشاعرة وغيرهم من أهل البدع.

بل وهو يقرر عقيدة السلف في الأسماء والصفات في بعض كتبه، خصوصًا

شبكة الألوكة www.alukah.net

تفسيره: (محاسن التأويل) يرد على الجهمية، وبعض أفراد المعتزلة كالزمخشري وغيره.

وأفاد الدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف: أن حب القاسمي للتقريب، والاتحاد بين الفرق الإسلامية.. ربما هو الذي دفعه إلى مثل هذا الثناء، لكنه أخطأ في سلوك هذا المسلك فـ -غفر الله له .-وقد كان -رحمه الله-كثيرًا ما يلتمس المعاذير لأصحاب المذاهب المخالفة فيما ذهبوا إليه؛ بغية هداية أتباعهم إلى عقيدة السلف، وتحبيبهم لذلك.

فإذا تبين لك هذا.. فبعيد بل مُحال على القاسمي: أن يمدحهم، موافقاً لهم في عقيدتهم، وهو المنافح عن السلفية وكتبها، ونال في ذلك ما نال، من أذى ووبال.

وها هو يقول -رحمه الله-: "أعدل المذاهب مذهب السلف؛ فإنهم أثبتوا النصوص بالتنزيه من غير تعطيل ولا تشبيه، وذلك أن المعطلين لم يفهموا من أسماء الله تعالى وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوقات، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل، فمثّلوا أولا، وعطّلوا آخرا، فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته تعالى بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، فعطلوا ما يستحقه سبحانه وتعالى من الأسماء والصفات اللائقة به عز وجل، بخلاف سلف الأمة، وأجلاء الأئمة، فإنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه نبيه من غير تحريف ولا تشبيه". ([١٤٥])

وتفسيره هذا (محاسن التأويل) مليء بالاعتقادات السنية، والإثباتات الصفاتية، والنقولات عن ابن القيم وابن تيمية، فهل يفعل هذا إلا من كان على العقيدة السلفية؟

وقد نظم من شعره ما يرد به على بعض الجاحدين الذين اتهموه ووشوا به إلى الوالي، فقال:

---

[١٤٥]-محاسن التأويل:(٤/ ٥٢٢٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

زعم الناس بأن *** مذهبي يدعى الجمالي
وإليه حينما أفتي *** الورى أعزو مقالي
لا وعَمر الحــق *** إني سلفي الانتحال
مذهبي ما في *** كتاب الله ربى المتعالي
ثم ما صح من *** الأخبـار لا قيل وقال
أقتفي الحق ولا *** أرضى بآراء الرجال
وأرى التقليد جهلاً *** وعمى في كل حال

وقال في هذا المعنى أيضًا:

أقول كما قال الأئمــة قبلنا *** صحيح حديث المصطفى هو مذهبي
أألبس ثوب القيل والقال باليًا*** و لا أتحلــى بالرداء المُذهـّبِ

ونجد أنه -رحمه الله- يكتب في رسالة منه للعلامة نعمان الألوسي سنة ١٣١٦هـ يقول: "فإلى الله المشتكى من جماعة نبذوا الآثار ظهريًا، وأضحى مذهب السلف بينهم نسيًا منسيًا، خلا جماعة من أحبابنا الصادقين، فإنهم في مشربهم السلفي عقد الشام الثمين، وقد نالتنا وإياهم محنة سلفت من نحو ثلاثة أعوام" يقصد: حادثة المجتهدين.
ثم إنه نشر كثيرًا من كتب شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وكتبها بقلمه، وراسل بها بعض المحسنين كالوجيه محمد حسين نصيف.
حتى ذكر عن نفسه أنه كتب ثمانية وعشرين رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية، بل بعضها ليس له نسخة خطية إلا ما كتبه هو -رحمه الله!-

شبكة الألوكة www.alukah.net

واسمع إليه -رحمه الله- يقول: (إني -ولله الحمد- نشأت على حب مؤلفات شيخ الإسلام، والحرص عليها، والدعوة إليها، وأعتقد أن كل من لم يطالع فيها.. لم يشم رائحة العلم الصحيح، ولا ذاق لذة فهم العقل، وهم يعلمون ما ندعوا إليه، وما نسعى لإشهاره.

فطورًا يرموننا بالاجتهاد، وطورًا بما قدمنا، وسيأخذ الحق بناصيتهم إن شاء الله). ([١٤٦])

وكانت بينه وبين العلامة السلفي محمود شكري الألوسي مراسلات عن أمر السلفية والسلف، وعن طباعة كتبها، وحث الناس عليها، ونشرها بين العامة.

وقد جمع رسائلهما الشيخ محمد بن ناصر العجمي في كتابه: (الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي) ومن قرأ الكتاب أدرك مقدار الجهود التي حملها هذان العالمان، وتبين له قدر الهم الذي طُوقاه في إيصال عقيدة السلف للخلف.. فلله درهما، وعلى الله شكرهما.

وقال في رسالة أرسلها للشيخ محمد نصيف -رحمه الله-: "ولا يخفى عليكم أنّ أعظم واسطة لنشر المذهب السلفي.. هو طبع كتبه، وأن كتابًا واحدًا تتناوله الأيدي على طبقاتها خير من مائة داع وخطيب؛ لأن الكتاب يبقى أثره، ويأخذه الموافق والمخالف. وأعرف أن كثيرًا من الجامدين اهتدوا بواسطة ما طبعناه ونشرناه، اهتداء ما كان يظن، والحمد لله على ذلك" ([١٤٧])

وقال أيضًا في هذه الرسالة: "وقد أمر السيد شكري أفندي أن أعرض ذلك عليكم، وهو يعلم أنني ممن يتعشقون آثار شيخ الإسلام، ويسعى لها جهده، حتى إني كنت جمعت ثمانية وعشرين رسالة بخطي، استكتبت منها من بلاد شاسعة، ثم طبعت في مصر من نحو عامين، والآن عندي من رسائله وفتاويه الصغرى

[١٤٦]-كتاب (محمد جمال الدين القاسمي).

[١٤٧]-المرجع السابق.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ما أعدّه أعظم كنز." ([148])

وهذا العلامة البيطار، يقول للقاسمي عند تحوله لمنهج السلف مبكرًا: "يا جمال .. احمد الله على أن انتهيت وأنت في سعة من عمرك، ولحيتك سوداء، فتتمكن من الاستمتاع بعقلك، ويتسع الوقت لنشر فضلك."

وكان يقول لطلابه: "عليكم أن تفكروا بتفكير خصوم السلفية، وتأتوني بحججهم وشبههم؛ لأرد عليها."

بل إن الكوثري الجهمي وصمه وعابه بأنه من السلفية في تعليقه على (دفع شبه التشبيه).

فهذه دلائل وبينات.. تشهد للرجل -رحمه الله- أنه سلفي بل مجدد للسلفية في زمانه وأوانه في بلدانه.

وليس كل من أثنى على مبتدع يلحق به في اعتقاده..

فالشوكاني -رحمه الله- بعد أن ألّف رسالة (الصوارم الحداد في تكفير ابن عربي والرد على من دافع عنه) رجع بأخرة عن هذا التكفير في كتابه (البدر الطالع: ٢/ ٣٧) قائلا: "وكان تحرير هذا الجواب في عنفوان الشباب، وأنا الآن أتوقف في حال هؤلاء، وأتبرأ من كل ما كان من أقوالهم وأفعالهم مخالفا لهذه الشريعة البيضاء، الواضحة التي ليلها كنهارها، ولم يتعبدني الله بتكفير من صار في ظاهر أمره من أهل الإسلام"...

فهل يحق لنا أن نبدّع الشوكاني، أو أن نخرجه من دائرة السلف التي تشبث بها، وتعلق بعروها؟!

وعلى كل، فالخطأ من طبيعة البشر، لكن أن نجعل من خطأ الشخص منهجًا له

[148]-المرجع السابق.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعقيدة، فهذا ظلم وشطط، وحيف وخلط. والله يتولانا بعنايته، ويكلأنا برعايته". ([١٤٩])

الثامن: " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" المعروف: بـ " التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور

والطَّاهر بن عاشور هو: محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور التونسي: (ت:١٣٩٣هـ).

سيكون التعريف بالتحرير والتنوير ومؤلفه من خلال وقفات خمس

الوقفة الأولى: مكانته وعلمه:

لقد برز الطَّاهر بن عاشور في عدد من العلوم ونبغ فيها ، كعلم الشريعة واللغة والأدب، وكان متقنا للُّغة الفرنسية كذلك، وعضوًا مراسَلًا في مجمع اللغة العربية في دمشق والقاهرة، تولى مناصب علمية وإدارية بارزة كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، وتم تعيينه شيخًا لجامع الزيتونة.
ألف عشرات الكتب في التفسير، والحديث، والأصول، واللغة، وغيرها من العلوم، منها تفسيره هذا المسمَّى: بـ" التحرير والتنوير"، و" مقاصد الشريعة "، و" كشف المغطا من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ "، و" أصول الإنشاء والخطابة "، و" النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح "، وغيرها من الكتب النافعة.

الوقفة الثانية: ثناء بعض العلماء عليه:

[١٤٩]-تحرير في سلفية جمال الدين القاسمي-مقال-لـ "وليد بن عبده الوصابي"-عن موقع صيد الفوائد.

شبكة الألوكة www.alukah.net

١- قال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر رحمه الله : " وللأستاذ فصاحةُ منطقٍ ، وبراعةُ بيانٍ ، ويضيف إلى غزارة العلم وقوّة النظر : صفاءَ الذوق ، وسعة الاطلاع في آداب اللغة ... كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق ، ... وهمَّةً طمَّاحة إلى المعالي ، وجِداً في العمل لا يَمَسه كلل ، ومحافظة على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم".

٢-ووصفه العلاّمة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله قائلاً : " عَلَم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره ، فهو إمام متبحِّر في العلوم الإسلامية ، مستقلّ في الاستدلال ، واسع الثراء من كنوزها ، فسيح الذرع بتحمّلها ، نافذ البصيرة في معقولها ، وافر الاطلاع على المنقول منها ، أقْرَأ ، وأفاد ، وتخرَّجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي" انتهى.

الوقفة الثالثة: تفسيره ومكانته العلمية :

أما تفسيره ، فاسمه الكامل : " تحرير المعنى السديد ، وتنوير العقل الجديد ، في تفسير الكتاب المجيد" ، ثم سمي اختصارًا بـ " التحرير والتنوير". وهو تفسير قيم ، أمضى في تفسيره قرابة الأربعين عامًا، وقد اشتمل على كثير من الفوائد واللطائف والتحريرات، مع الحرص على تلمس الحِكم من الأحكام والتشريعات ، والإكثار من النقول عن الأئمة والعلماء في شتى العلوم سواء كانت شرعية أو لغوية أو بلاغية أو غيرها من فروع العلم.

وقد بين منهجه فيه في مقدمته فقال: " وَقَدِ اهْتَمَمْتُ فِي تَفْسِيرِي هَذَا بِبَيَانِ وُجُوهِ الْإِعْجَازِ ، وَنُكَتِ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ ، وَاهْتَمَمْتُ أَيْضًا بِبَيَانِ تَنَاسُبِ اتِّصَالِ الْآيِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ ... وَلَمْ أُغَادِرْ سُورَةً إِلَّا بَيَّنْتُ مَا أُحِيطُ بِهِ مِنْ أَغْرَاضِهَا ؛ لِئَلَّا يَكُونَ النَّاظِرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مَقْصُورًا عَلَى بَيَانِ مُفْرَدَاتِهِ وَمَعَانِي جُمَلِهِ كَأَنَّهَا فِقَرٌ مُتَفَرِّقَةٌ تَصْرِفُهُ عَنْ رَوْعَةِ انْسِجَامِهِ وَتَحْجُبُ عَنْهُ رَوَائِعَ جَمَالِهِ. وَاهْتَمَمْتُ بِتَبْيِينِ مَعَانِي الْمُفْرَدَاتِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، بِضَبْطٍ وَتَحْقِيقٍ مِمَّا خَلَتْ عَنْ

شبكة الألوكة www.alukah.net

ضَبْطِ كَثِيرٍ مِنْهُ قَوَامِيسُ اللُّغَةِ.

وَعَسَى أَنْ يَجِدَ فِيهِ الْمُطَالِعُ تَحْقِيقَ مُرَادِهِ ، وَيَتَنَاوَلَ مِنْهُ فَوَائِدَ وَنُكَتًا عَلَى قَدْرِ اسْتِعْدَادِهِ ، فَإِنِّي بَذَلْتُ الْجُهْدَ فِي الْكَشْفِ عَنْ نُكَتٍ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْجَازِهِ خَلَتْ عَنْهَا التَّفَاسِيرُ ، وَمِنْ أَسَالِيبِ الِاسْتِعْمَالِ الْفَصِيحِ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ هِمَمُ النَّحَارِيرِ ، بِحَيْثُ سَاوَى هَذَا التَّفْسِيرُ عَلَى اخْتِصَارِهِ مُطَوَّلَاتِ الْقَمَاطِيرِ، فَفِيهِ أَحْسَنُ مَا فِي التَّفَاسِيرِ، وَفِيهِ أَحْسَنُ مِمَّا فِي التَّفَاسِيرِ ، وَسَمَّيْتُهُ : تَحْرِيرَ الْمَعْنَى السَّدِيدِ وَتَنْوِيرَ الْعَقْلِ الْجَدِيدِ مِنْ تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ، وَاخْتَصَرْتُ هَذَا الِاسْمَ بِاسْمِ : التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِيرِ مِنَ التَّفْسِيرِ" . (١٥٠)

والكتاب يعد بحق من أحسن تفاسير المعاصرين وأرسخها علمًا، وأقواها تحقيقا، مع ما فيه من بعض المآخذ والتي لم يسلم منها كتاب من كتب التفسير في الغالب، وهي مغمورة في بحر فوائده.

هذا إجمالًا، وإليك بعض البيان عن منهجه في تفسيره بشيء من التفصيل الميسرة.

الوقفة الرابعة: منهجه في تفسيره، وخلاصة ما اشتمل عليه:

لقد سلك ابن عاشور في تفسيره منهجًا متميزًا، فجاء محتويًا على مزايا عظيمة، متضمنًا علومًا كثيرة، وفوائد جمة وربما كانت عزيزة.

وقد بذل في هذا التفسير قصارى جهده، واستجمع قواه العقلية والعلمية؛ فتجلت فيه مواهبه المتعددة، وتبين من خلاله علوُّ كعبه وعلميته الفذة النادرة، ومنهجه التربوي، ونظراته الإصلاحية.

ولقد بين في مقدمته الرائعة منهجه بإجمال، ويمكن حصر ذلك في الأمور التالية:

الأمر الأول: بدأ تفسيره بمقدمات عشر؛ لتكون - كما يقول – عونًا للباحث في التفسير، وتغنيه عن مُعاد كثير، وهذه المقدمات تضمنت علماً غزيراً عظيمًا.

الأمر الثاني: اهتم ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال

١٥٠-"التحرير والتنوير" (٨/١)

شبكة الألوكة www.alukah.net

الأمر الثالث: اهتم ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.
.الأمر الرابع: لم يغادر سورة إلا وبين أغراضها، وما تشتمل عليها بإجمال .
الأمر الخامس: اهتم بتحليل الألفاظ، وتبيين معاني المفردات بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميسُ اللغة.

الأمر السادس: عُنِيَ باستنباط الفوائد، وربطها بحياة المسلمين.
الأمر السا بع: حَرِصَ على استلهام العبر من القرآن؛ لتكون سببًا في النهوض بالأمة
فهذا مجمل منهجه الذي بيَّنه، وسار عليه.
أما منهجه على وجه التفصيل فيحتاج إلى مزيد بسط وبيان.
وفيما يلي بيان لذلك، ومن خلاله سيتبين خلاصة ما اشتمل عليه التفسير من العلوم والمعارف.

العناية بالحديث الشريف أولًا:

فهو كثيرًا ما يورد الأحاديث النبوية، ويستشهد بها، ويحرص على بيان صحيحها من ضعيفها، ويستعين بها على تفسير آية، أو ترجيح قول، أو بيان سبب نزول.

ثانيًا: الإلمام بالفقه:

فكثيرًا ما يتعرض للمسائل الفقهية التي يمر بها تفسيره، فيبين ما فيها من خلاف، ويوضح أقوال أهل المذاهب، ثم يرجِّح ما يراه راجحًا.
وقد يتعرض للمسائل التي يحتاج إليها الناس في وقته، أو التي وقع فيها الخلاف كمسألة أخذ الأجر على القربات، ومسألة نقل لحوم الهدي من مكة، إلى غير ذلك من المسائل.
ثالثًا: العناية بعلم القراءات:

شبكة الألوكة www.alukah.net

.... فهو يورد القراءات، ويرجح ذلك القول بناءًا على تلك القراءة أو غيرها، وهكذا

:رابعًا: العناية بمقاصد الشريعة:

فكثيرًا ما يتعرض لمقاصد الشريعة العامة، ويبين المصالح العليا، والغايات الكبرى التي ينبني عليها التشريع.

ولا غروَ في ذلك فهو إمام له باع طويل، ونظرات في ذلك العلم، بل هو باعثه ومجدده في العصور المتأخرة.

خامسًا: العناية بالقواعد الأصولية، والمسائل اللغوية والنحوية:

فجاء كتابه حافلًا بكثير منقواعد الأصول، ومسائل اللغة وغريبها، وقواعد النحو، واختلاف النحاة، وما جرى مجرى ذلك.

سادسًا : العناية بالبلاغة العربية، وأساليب البيان:

فهو فارس ذلك الميدان الذي لا يُشق له غبار. ولم يحفل تفسير من التفاسير بالبلاغة العربية وأساليب الاستعمال كما حفل به تفسير التحرير والتنوير. ولم يخصَّ أحدٌ من المفسرين -كما يقول ابن عاشور في مقدمة تفسيره- فن دقائق البلاغة بكتابٍ كما خصوا الأفانين الأخرى.

سابعًا: العناية بالقصص القرآني:

ويتجلى ذلك من خلال اهتمامه بقصص الأنبياء وأممهم، واستلهام العبر منها. التعرض للكتب السماوية المحرفة :فكثيرًا ما ينقل من التوراة وأسفارها الخمسة، ويبين ما في ذلك من التحريف، والباطل، والصواب. ويوضح من خلال ذلك صحة القرآن، وسلامته من التحريف.

ثامنًا: التنويه بأمهات العبادات:

شبكة الألوكة www.alukah.net

كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج وغيرهافتراه عند مروره بها يعرج على فوائدها، وحكمها، وآثارها الدنيوية والأخروية.

تاسعًا: التنويه بمكارم الأخلاق وأصول الفضائل:

كالصبر، والحلم، والشكر، والصفح، والعفو، وحسن الخلق، والشجاعة، وعلو الهمة، وأصالة الرأي، وعزة النفس، وإباءة الضيم.

والتحذير من مساوئ الأخلاق وسفاسف الأمور فتراه كثيرًا ما يُحذِّر من الجور، والظلم، والفساد، والكذب، والنفاق، والتبذير وما جرى مجرى ذلك.

عاشرًا: العناية بمعالم الإصلاح العامة:

فقد جاء تفسيره حافلاً بما ينهض بالأمة، ويُعلي منارها، وينزلها منزلتها اللائقة بها، ويوصلها إلى أعلى مراتب السيادة، وأقصى درجات المجادة.

حادي عشر: الاهتمام بأصول التربية والتعليم:

فكثيرًا ما يبين السبل التي ترتقي بالتربية، والتعليم، كيف لا، وهو المربي الحكيم الذي باشر التعليم، وسبر أحواله، وخبر علله وأدواءه؟

ولهذا جاء تفسيرًا حافلًا بالنظرات التربوية؛ حيث يقف عند الآيات التي تشير وترشد إلى معالم التربية، وأصولها، كما في قوله -تعالى-في سورة النساء: [كَذَلِكَ كُنتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ] (النساء:٩٤).

ثاني عشر: الاعتزاز باللغة العربية:

فتراه يتفاخر بها، ويُعلي من شأنها، ويرى أنها أعذب اللغات وأعظمها، وأوسعها مع أنه عاش في وقت الهزيمة -كما مرَّ-وفي وقت كانت العربية توصم بالجمود، وتلاقي كلَّ جحود وكنود.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومع ذلك لم يفقد ثقته بِلُغَتِه، ولم تنل منه تلك الدعايات فتيلاً أو قطميرًا كيف لا، وهو الخبير باللغة، العالم بأسرارها، البصير بآدابها وشتَّى فنونها وعلومها؟

ثالث عشر: العناية بالضوابط، والتعريفات، والحدود:

بحيث يتطرق للألفاظ التي تمر به في التفسير، فيعرفها بدقة، ووضوح، وشمول.

رابع عشر: الربط بين هداية القرآن لمصالح المعاش الدنيوي، والمعاد الأخروي

وذلك كما في تفسيره لقول الله عز وجل [وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ] (النحل:٩)، فإنه أتى بكلام بديع حول هذا المعنى.

كما تبين في تفسيره أشياء كثيرة وعلوم متنوعة برز فيها الطاهر بن عاشور وظهر مدى نبوغه وضلوعه فيهاوعنايته الفائقة بها كالعناية بعلم الجغرافيا والتاريخ، والاستشهاد بأقوال الفلاسفة، والحكماء، والتعرض لمسائل الطب، والتعرض للنظريات في علم الفلك، والطبيعة، وعلم النفس، والعناية بعالم الحيوان، والطير، والتعرض للمعادن، وما يستخرج من الأرض، وإيراد اللطائف والنوادر والمُلح، كل ذلك مصحوبًا بجزالة الأسلوب.

فقد كتب تفسيره بأسلوب عربي بليغ قوي أخَّاذ، شديد الأسر، محكم النسج، مع لزوم العدل، وتحري الإنصاف وإرجاع الأشياء إلى أصولها، وأسبابها الأولى، كل ذلك بأمانة علمية بمصحوبة بطول النَّفس، والدأب في تتبع المسائل، وقد تعاهدتفسيره بالتهذيب، والتشذيب، والزيادة وكثرةالنقول عن الأئمة والعلماء في شتى الفنون والاستشهاد بما يؤيد تفسيرهمن كل ما يفيد ويقرب المعاني سواء كان

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك من الأشعار، أو الأمثال، أو الحوادث العامة، فجاء تفسيره حافلاً بالشواهد من هذا القبيل.(١٥١)

الوقفة الخامسة: عقيدته

أما عقيدته، فالطاهر ابن عاشور رحمه الله له انتصارات كثيرة لمنهج وعقيدة السلف الصالح، وذلك في أبواب عديدة من أبواب الاعتقاد في تفسيره، ولكنه في الجملة من جهة باب الصفات، ومن جهة علم الكلام كذلك فإنه على مذهب الأشاعرة من حيث الأصل. وهذا معروف مشهور، ويدل عليه قوله في تفسير قوله تعالى : (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة/٣٨-٣٩)، والخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في مسألة "الهداية والتوفيق".

... "كانت الْآيَةُ أَسْعَدَ بِمَذْهَبِنَا أَيُّهَا الْأَشَاعِرَةَ مِنْ عَدَمِ وُجُوبِ الْهُدَى كُلِّهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لَوْ شِئْنَا أَنْ نَسْتَدِلَّ بِهَا عَلَى ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ الْبَيْضَاوِيُّ وَلَكِنَّا لَا نَرَاهَا وَارِدَةً لِأَجْلِهِ ". (١٥٢)

وقال أيضا رحمه الله:

"وَوَصْفُ الضَّلَالِ بِالْمُبِينِ دُونَ وَصْفِ الْهُدَى بِالْمُبِينِ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْهُدَى مَقُولٌ عَلَيْهَا بِالتَّوَاطُؤِ وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ أَصْحَابِنَا الْأَشَاعِرَةِ: الْإِيمَانُ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ فِي ذَاتِهِ، وَإِنَّمَا زِيَادَتُهُ بِكَثْرَةِ الطَّاعَاتِ، وَأَمَّا الْكُفْرُ فَيَكُونُ بِإِنْكَارِ بَعْضِ الْمُعْتَقَدَاتِ، وَبِإِنْكَارِ

---

[١٥١]- وللاستزادة ينظر: منهج ابن عاشور في تفسيره، وخلاصة ما اشتمل عليه لـ"محمد بن إبراهيم الحمد"-عن موقع-ملتقى أهل التفسير باختصار شديد وتصرف من الباحث.

[١٥٢]- "التحرير والتنوير". (٤٣٣/١)

شبكة الألوكة www.alukah.net

جَمِيعِهَا، وَكُلُّ ذَلِكَ يَصْدُقُ عَلَيْهِ الْكُفْرُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ كُفْرٌ دُونَ كُفْر، فَوَصَفَ كُفْرَهُمْ بِأَنَّهُ أَشَدُّ الْكُفْرِ، فَإِنَّ الْمُبِينَ هُوَ الْوَاضِحُ فِي جِنْسِهِ الْبَالِغُ غَايَة حَده". (١٥٣)

ويظهر اعتقاد العلامة ابن عاشور رحمه الله واضحًا في موقفه من نصوص الصفات، فهو إما أن يؤولها، وإما أن يفوضها (١٥٤)، وهذان طريقان معروفان للأشاعرة، وكلاهما مخالف لمذهب السلف في باب الصفات: حيث يثبتونها على ما يعرف من معناها في لغة العرب، من غير تأويل لها، أو تشبيه لصفات الله تعالى بصفات خلقه، أو تمثيل لها، جل الله تعالى عن كل عيب ونقصان. (١٥٥) وعلى كل حال، فهذا أمر واضح ظاهر لمن طالع تفسيره بأدنى نظر، فلا حاجة لنقل نصوص تدل عليه هنا.

---

[١٥٣] - المرجع السابق:(١٩٣/٢٢)، ويُنظر أيضًا: (١٨٧/١٦)، (١٤٧/٣٠) . وينظر أيضًا كتاب: "أليس الصبح بقريب" له. (١٨٤)

[١٥٤] -التفويض في أسماء الله تعالى وصفاته له معنيان:

أما المعنى الأول:فهو معنى صحيح، وهو إثبات اللفظ ومعناه الذي يدل عليه، ثم تفويض علم كيفيته إلى الله، فنثبت لله تعالى أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، ونعرف معانيها ونؤمن بها، غير أننا لا نعلم كيفيتها.

وأما المعنى الثاني للتفويض -فهو معنى باطل -: وهو إثبات اللفظ من غير معرفة معناه فيثبتون الألفاظ فقط، مثال ذلك قوله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه:٥)، ثم يقولون: لا ندري

!! ما معناه ولا ماذا أراد الله به.

[١٥٥] -ويُنظر"التحرير والتنوير"عند تفسيره للإتيان (٢٨٤/٢) والاستواء (١٨٧/١٦)، واليدين (٣٠٢/٢٣)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا يمنع هذا أن العلامة الشيخ ابن عاشور ربما خالف أصحابه الأشاعرة في بعض المسائل، أو بعض التقريرات؛ فقد كان عالما كبيرًا ، محققًا مجتهدًا، ينفرد ببعض التحقيقات، ويورد بعض انتقادات على ما يقرره أصحابه، أو بعضهم. ففي تفسير قول الله تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء:١٦٤)، يورد كلامًا كثيرًا، ومباحث حول الآية ، ويذكر خلاف المتكلمين حول صفة الكلام، ثم يقول: "فَاحْتِجَاجُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى كَوْنِ الْكَلَامِ الَّذِي سَمِعَهُ مُوسَى الصِّفَةَ الذَّاتِيَّةَ الْقَائِمَةَ بِاللَّهِ تَعَالَى احْتِجَاجٌ ضَعِيفٌ". (٣٩/٦).)

وينظر أيضًا: نقده لتقرير الأشاعرة في مسألة "وجوب النظر" وأنه لم ير جوابا للأشاعرة عن بعض ما اعترض عليهم به. (١٥٦) وكذلك نقده لتقرير أصحابه في نفي "الحكمة والتعليل" عن أفعال الله تعالى. (١٥٧)(١٥٨)

وذكرنا ذلك لعظم شأن العقيدة وصيانة لها الذي هو منهج العدل الخيار، وذلك طلبًا لبيان الحق وإحقاقه.

وختامًا فهذا تحذير وتنبيه من الأهمية بمكان..

١٥٦- التحرير والتنوير: (٤٢/٦).

١٥٧- المرجع السابق: (٣٨٠/١)

١٥٨-وللاستزادة والوقوف على تفاصيل حياته والتعرف على منهجه ومؤلفاته، ينظر:

كتاب: " شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور "تأليف: بلقاسم الغالي.

كتاب: " محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه "تأليف: خالد الطباع.

مقدمة كتاب : " مقاصد الشريعة لابن عاشور " تحقيق : محمد الطاهر الميساوي.

كتاب: " التقريب لتفسير التحرير والتنوير" تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

كتاب " تراجم لتسعة من الأعلام " تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد-عن موقع-الإسلام سؤال وجواب.

شبكة الألوكة www.alukah.net

مضى بيان شاف لمكانة بعض كتب التفسير ومكانة مؤلفيها ومصنفيها وعقائدهم، وتم عرضها بوسطية واعتدال في ضوء منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة- أهل السنة والجماعة-، ذلك المنهج الوسط.

والباحث إذا يسأل الله تعالى أن يكون قد أصاب فيما قدم، وهو لم يأ لو جهدًا في تحري الحق ولزوم الصواب وتجنب الشطط والإجحاف والإفراط والتفريط والغلو والشطط.

من هنا ينبه بشدة ويحذر طلاب العلم من الجرأة على علماء الأمة، ووجوب سلوك منهج الاعتدال والوسطية والبعد عن الجفاء والجفوة والغلظة، والغلو والإفراط والتفريط، والانشغال عن طلب العلم بالجرح ولا أقول و"التعديل"، ولكن بـ"الجرح والتجريح" الذي سادة بين فئام ممن ينتسبون للعلم والدعوة إلى الله، من التشهير بأعلام نبلاء وسادة فضلاء لهم من السبق في العلم والفضل، مع ما حباهم الله من لزوم السنة والجماعة، وصحة المنهج وسلامة المعتقد، وحسن الديانة والسمعة الطيبة الحسنة، وكذلك مع ما امتن الله من فتح باب القبول لهم عند العامة والخاصة، وذلك لما أجرى الله على يديهم من النفع والخير والإصلاح والهداية لكثير من عباده وعم نفعهم الحاضر والباد في كثير من أرجاء المعمورة لدعوتهم للكتاب والسنة وعلى طريقوهدي سلف الأمة.

وعلى العموم ليس أحد من أفراد الأمة معصوم،المعصوم صلى الله عليه وسلم، وكل أحد يُؤخذ من قوله ويرد إلا هو "صلى الله عليه وسلم" وفداه أبي وأمي، ولكن النصح له آدابه وأخلاقه وسلوكه وقواعده ومسالكه.

وإن الجرح والتعديل له أئمته وله أصوله وضوابطه كذلك، أما الأن فقد أصبح أقرب طريق وأسهل سبيل للشهرة، والشهرة ليست مقياسًا لعلو درجة في العلم ولا ميدان للسبق في أي فضل، وقد سبق إبليس في هذا المضمار الخلق أجمعين، فهو أوسعهم شهرة وأذيعهم صيتًا، نقول هذا والله والقلب يعتصر ألمًا ويذوب كمدًا على

شبكة الألوكة www.alukah.net

ما وصل إليه الحال من ترك جمهرة غفيرة من طلاب العلم للعلم، فقد تركوا ميدان الطلب وتناطح بعضهم في بعض جرحًا وتجريحًا وتنكيلًا، حتى وصل الأمر إلى التفسيق والتبديع بل وإلى التكفير، وبألفاظ لا أقول خرجت عن حدود نطاق العلم والمحاورة بغية الوصول للحق، بل بألفاظ خرجت عن أدنى حدود مكارم الأخلاق وقواميس الأدب، مع ما خالط ذلك من التهم في النيات وتشويه الأعراض وتتبع الزلات والهفوات والسقطات، وأخذ الكلام على غير محمله وتحميله ملا يتحمل من التهم وإلصاقها بهم زورًا وبهتانًا، وغير ذلك مما لا يخفى على من له أدنى بصر بأحوال العباد.

فالواجب على طلاب العلم أن يلزموا حلق العلماء الأكابر لينهلوا من علمهم وسمتهم وهديهم ودلهم ووسطيتهم واعتدالهم.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الأعلام الثلاثة الكبار والسادة الكرام أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين تألق نجمُهم وطلع بدرُهم وملأ الدنيا علْمهم ، وذاع صيتُهم في اتباعهم الحق، وانتشرت فضائلُهم في الآفاق، وهم ملء السمع والبصر، وهم من أئمة أهل السنة والجماعة، شيوخنا الأجلاء، سماحة الإمام شيخنا ابن باز، وشيخنا الفقيه العلام الأصولي ابن عثيمين، ومحدث العصر ومجدد معالم السنة ومنهج السلف الصالحشيخنا الألباني، رحمهم الله أجمعين، وجعل كتاب كل منهم في أعلى عليين مع النبين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، كيف كان نهجهم في بث العلم ونشره، وكيف تعاملوا مع المخالف، سواء كان من أهل السنة والجماعة، أو مع المخالف من أهل البدعة والافتراق، لم يخرجوا عن الحكمة والاعتدال وإعطاء كل ذي حق حقه، وقد رأينا ذلك منهم وعاصرناه وعايشنه.

وأما من لم يعاصرهم أو يجالسهم أو لم يتلق عنهم، فليقرأ سيرهم، وهي مبثوثة منشورة وموثقة، ولم أذهب لسير السلف المليئة بالعظات وبالعبر في هذا الجانب، ولكن أحببت الإشارة لأمثلة ونماذج معاصرة من أئمة العصر، وقد عاصروا جميعًا الفتن كلها على مر عدة عقود متتالية، فتن التفسيق والتبديع والتكفير والتفجير

شبكة الألوكة www.alukah.net

والتخريب والتدمير، وفتن الخوارج، وفتن الرفض والتشيع، وغيرها الكثير، ومع ذلك لا نعلم أن أحدًا منهم خرج عن منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة، ولا سيما في هذا الباب.

ولعل في ذلك بيان كاف لا إفراط فيه ولا إجحاف لمن أراد العدل والإنصاف.

شبكة الألوكة www.alukah.net

.

المصدر الرابع من مصادر التفسير: أقوال التابعين

أي: تفسير القرآن بأقوال التابعين رحمهم الله تعالى، ويشتمل على مباحث

المبحث الأول: تعريف التابعي

فمن الأهمية بمكان تعريف مفهوم التابعين في اللغة والاصطلاح

أ-لغة: التابعون:جمع تابعي، أو تابع، والتابع: اسم فاعل من "تبعه" بمعنى مشى خلفه. (١٥٩)

ب-اصطلاحًا: هو من لقي صحابيًا مسلمًا، ومات على الإسلام (١٦٠)

قال الصنعاني في إسبال المطر:

" قال الحافظ: إن هذا التعريف للتابعي هو المختار خلافًا لمن اشترط في التابعي طول الملازمة أو صحة السماع أو التمييز". (١٦١)، ويقال للواحد: تابعي، وتابع كما أسلفنا.

وقيل: "هو من صحب الصحابي". (١٦٢)

وقيل: هُوَ مَنْ لَقِيَ الصَّحَابِيَّ ". (١٦٣)

---

[١٥٩] - يُنظر: تيسير مصطلح الحديث للطحان: (٢٤٧/١)

[١٦٠] -النخبة مع شرحها، ص٥٨.

[١٦١] -إسبال المطر على قصب السكر نظم نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر: (٢٠١)

[١٦٢] -الكفاية، ص٢٢.

[١٦٣] - نخبة الفكر لا بن حجر (٤/ ٧٢٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقيل: " هو من صحب صحابيًّا "(١٦٤)، وإن لم تطل صحبته على الأرجح، مع بقاء التفاضل بينهم، وذلك لأن بعضهم أفضل من بعض.

وفي نحو هذا التعريفيقول الحافظ العراقيرحمه الله في ألفيته:

"والتَّابِعِي اللاَّقِي لِمَنْ قَدْ صَحِبَا". (١٦٥)

وقيل: "هو مَنْ لَقِيَ الصحابيَّ وإن لم يصحبه " وهو الذي عليه أكثر أئمة الحديث. (١٦٦)

والتابعون جمع تابعي، وهم الجيل الذي جاء بعد جيل الصحابة ولم يشهدوا عصر النبوة، ولم يحظوا بلقي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، وإنما لقوا وصحبوا أصحابه الكرام رضي الله تعالى عنهم.

كما أن أتباع التابعين هم الذين رأوا من رأى الصحابة رضي الله عنهم وصحبوهم، وهم التابعين.

مكانة التابعين

---

[١٦٤]-قاله الخطيب في " الكفاية "(ص٥٩). إلا أن العراقي ذكر كلامًا للخطيب في جزء جَمَع فيه رواية الستة من التابعين بعضهم عن بعض، وذكر منصور المعتمر في التابعين، مع تصريحه بأنه لم يسمع من ابن أبي أوفى؛ إنما له رؤية فقط، وقال العراقي:" ويُحمل قوله في " الكفاية "" من صَحِبَ الصحابي " على أن المراد اللُّقِي؛ جمْعًا بين كلاميْه، والله أعلم اهـ. من " التقييد "(ص٣١٩).

[١٦٥]-ألفية العراقي: (ص/٦٦)

[١٦٦]-يُنظر: كلام الحافظ العراقي في " التقييد "(٣١٧ – ٣١٨)، و " شرح الألفية"(٣ / ٤٥)

.

شبكة الألوكة www.alukah.net

إن خير أتباع النبيين والمرسلين بعد جيل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، من جاءوا من بعدهم، وهم جيل التابعين وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، وذلك لتصديقهم وإيمانهم بالله وتصديقهم برسوله صلى الله عليه وسلم مع أنهم لم يروه، فتلقوا تعاليم الإسلام صافية من جيل الصحابة رضي الله عنهم، وعرفوا لهم مكانتهم وفضلهم وسبقهم للإسلام فأحسنوا صحبتهم والتلقي عنهم،فأحبوهم وأثنوا عليهم الثناء الحسن الجميل وأحسنوا اتباعهم والتأسي بهم، وتمسكوا بما بعثه الله به من الهدى ودين الحق وتعلموا دين اللهالذي أرسل به وقرنوا العلم بالعمل الصالح وحرصوا على إبلاغ الحق للخلق، فبلغوا عن الله ورسوله ما تلقوه من الصحب الكرام رضي الله عنهم اجمعين، وعرفوا منزلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشأنهم ومنهاجهم، فأحسنوا صحبتهم وذكرهم، وأحبوهم وأحسنوا الاقتداء والتأسي بهم، فترضوا عنهم واستغفروا لهم، ونقلوا للأمة علمهم وهديهم وسمتهم ودلهم وما كانوا عليه من الحق، وأقروالهم بالفضل والسبق للإسلام، كما أنهم وضعوا معالم وأرسوا قواعد لمن بعدهم ليسلكوا سبيلهم ويتبعوا طريقهم فجزاهم الله عن أمة نبيهم صلى الله عليه وسلم الجزاء الأوفى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ونسأله تعالى أن يلحقنا بهم وبجيل المهاجرين والأنصار وأن يحشرنا مهم جميعًا مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

و"إذا كان الصحابة قد تربو على يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، وساروا على منهجه الذي اختطه لهم، فإن التابعين أيضًا تربو على أيدي صحابة الرسول -صلى الله عليه وسلم – الذين نقلوا للتابعين هذا الدين، وعرفوهم بمنهج الإسلام في العلم والفقه والفتيا. وإذ كان الصحابة خير العصور بعد عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأن الصحابة هم القائمون على أمر الدين وهم سادات المؤمنين، فإن عهد التابعين خير العهود بعد عهدي الرسول والأصحاب لأن الصحابة لا يزال لهم وجود في هدا العصر، والذين خلفوهم فيه ساروا على نهجه من بعدهم. ويبدأ هذا العصر من تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب عن الخلافة

شبكة الألوكة www.alukah.net

لمعاوية بن أبي سفيان في سنة ٤١هـ، وينتهي بانتهاء الدولة الأموية أو قريبا من ذلك، وهذا الدور وإن ضم في أوائله جمعاً من الصحابة إلا أنهم كانوا قلة فيه.

التعريف بالتابعين ومنزلتهم

"هم الجيل الذي أخذ عن الصحابة، وتتلمذ عليهم، وحمل علمهم، والتابع هو التالي، وتسميتهم بالتابعين تسمية صرح بها القران حيث قال سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ} [التوبة: ١٠٠].

وقد سمي التابعون بهذا الاسم، لأنهم اتبعوا الصحابة وسلكوا منهجهم في كل شيء عن نظر واجتهاد وفهم لا عن تقليد، فإنهم اقتفوا أثرهم في تعرف علل الأحكام والمصالح التي تهدف إليها. كما يتضح لك المنزلة التي ينالونها عند الله بإتباعهم هدي الصحابة، والأخذ عنهم إذا كان هذا الإتباع إتباعاً بإحسان أي بإدراك وفهم، وعلم ومعرفة وتبصر بحقيقة ما يقولون وما يفعلون في ظل أحكام الشريعة الإسلامية". (١٦٧)

المبحث الثاني: بيان بعض ما ورد في فضل التابعين في القرآن الكريم

لقد أثنى الله تعالى على َالسَّابِقُينَ الأَوَّلُينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ثم أثنى ربنا كذلك على َالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ من التابعين كما قال ربنا: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١٠٠]..

١٦٧-مقال عن الملتقى الفقهي-صالح بن صبحي القيم

شبكة الألوكة www.alukah.net

اشتملت الآية الكريمة على أبلغ الثناء من الله رب العالمين على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، حيث أخبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه بما أكرمهم به من جنات النعيم(١٦٨).

ويقولالشنقيطي:

أن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم في الخير كقوله تعالى: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة:٣]. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا} [الحشر:١٠]. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ} [الأنفال:٧٥] (١٦٩)

وفي ذلك يقول حافظ حكمي (١٣٣٧هـ) في معارج القبول:

"وقد رتب الله تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم، ثم أردفهم بذكر التابعين في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ}". (١٧٠)

ويقول عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: (ت٣٢٧هـ) في مقدمة الجرح والتعديل:

"فخلف من بعد الصحابة التابعون، الذين اختارهم الله عز وجل لإقامة دينه، وخصهم بحفظ فرائضه وحدوده وأمره ونهيه... فأتقنوه، وعلموه، وفقهوا فيه، فكانوا من الإسلام والدين ومراعاة أمر الله عز وجل ونهيه بحيث وضعهم الله عز وجل ونصبهم له، إذ يقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [التوبة:١٠٠]، فصاروا برضوان الله عز وجل لهم، وجميل ما أثنى عليهم، بالمنزلة التي نزههم بها عن أن يلحقهم مغمز، أو تدركهم وصمة؛ لتيقظهم وتحرزهم وتثبتهم، ولأنهم البررة الأتقياء الذين ندبهم الله عز وجل لإثبات دينه، وإقامة سننه

١٦٨-يُنظر: تفسير القرآن العظيم ٣٣١/٢

١٦٩- أضواء البيان ٤٧٤/٢

١٧٠-معارج القبول ٤٨٦/٢

شبكة الألوكة www.alukah.net

وسبله، فلم يكن لاشتغالنا بالتمييز بينهم معنى، إذ كنا لا نجد منهم إلا إماماً مبرزامقدَّامًا في الفضل والعلم ووعي السنن وإثباتها، ولزوم الطريقة واحتذائها، ورحمة الله ومغفرته عليهم أجمعين، إلا ما كان ممن ألحق نفسه بهم، ودلسها بينهم ممن ليس يلحقهم، ولا هو في مثل حالهم، لا في فقه ولا علم ولا حفظ ولا إتقان". (١٧١)."...

المبحث الثالث: بيان بعض ما ورد في فضائل التابعين في السنة المطهرة

ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ) (١٧٢)

قال النووي رحمه الله:

"الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الصَّحَابَةُ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّالِثُ: تَابِعُوهُمْ".(١٧٣)

قال الطيبي: "يعني الصحابة ثم التابعين". (١٧٤)

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

قَوْلُهُ: (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) أَيِ الْقَرْنُ الَّذِي بَعْدَهُمْ، وَهُمُ التَّابِعُونَ، (ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) وَهُمْ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ.(١٧٥)

---

[١٧١] -الجرح والتعديل ٨/١

[١٧٢] -روى البخاري (٣٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٣)

[١٧٣] -شرح النووي على مسلم :(٨٥/١٦)

[١٧٤] -الكاشف – شرح المشكاة: (٢١٤/١١)

[١٧٥] -فتح الباري: (٦/٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال العلامة الفقيه شيخنا ابن عثيمين رحمه الله:

قوله: (خير الناس) دليل على أن قرنه خير الناس، فصحابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من الحواريين الذين هم أنصار عيسى ، وأفضل من النقباء السبعين الذين اختارهم موسى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وهذه الأفضلية أفضلية من حيث العموم والجنس ، لا من حيث الأفراد، فلا يعني أنه لا يوجد في تابعي التابعين من هو أفضل من التابعين، أو لا يوجد في التابعين من هو أعلم من بعض الصحابة، أما فضل الصحبة ، فلا يناله أحد غير الصحابة ولا أحد يسبقهم فيه، وأما العلم والعبادة ، فقد يكون فيمن بعد الصحابة من هو أكثر من بعضهم علما وعبادة. (١٧٦)

وقال ملا علىالقاري رحمه الله:

"قَالَ السُّيُوطِيُّ: وَالْأَصَحُّ أَنَّهُ - يعني القرن - لَا يَنْضَبِطُ بِمُدَّةٍ ، فَقَرْنُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُمُ الصَّحَابَةُ ، وَكَانَتْ مُدَّتُهُمْ مِنَ الْمَبْعَثِ إِلَى آخِرِ مَنْ مَاتَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَرْنُ التَّابِعِينَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ إِلَى نَحْوِ سَبْعِينَ ، وَقَرْنُ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ مِنْ ثَمَّ إِلَى نَحْوِ الْعِشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَفِي هَذَا الْوَقْتِ ظَهَرَتِ الْبِدَعُ ظُهُورًا فَاشِيًا، وَأَطْلَقَتِ الْمُعْتَزِلَةُ أَلْسِنَتَهَا، وَرَفَعَتِ الْفَلَاسِفَةُ رُءُوسَهَا، وَامْتُحِنَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِيَقُولُوا بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَتَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ تَغَيُّرًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ فِي نَقْصٍ إِلَى الْآنَ، وَظَهَرَ مِصْدَاقُ قَوْلِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ) ".(١٧٧) (١٧٨)

المبحث الرابع بيان طبقات التابعين وأفضلهم

اختلف في عدد طبقاتهم، فقسمهم العلماء كل حسب وجهته

أ-فجعلهم الإمام مسلم ثلاث طبقات

---

[١٧٦]-مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: (١٠ /١٠٥٧-١٠٥٨)

[١٧٧]-صحيح الجامع: (٢٠٦)

[١٧٨]-مرقاة المفاتيح: (٣٨٧٨/٩)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ب-وجعلهم ابن سعد أربع طبقات

ج-وجعلهم الحاكم خمس عشرة طبقة، الأولي منها من أدرك العشرة من الصحابة.

المخضرمون من التابعين

واحدهم "مخضرم " والمخضرم: هو الذي أدرك الجاهلية وزمن النبي صلي الله عليه وأسلم ولم يره. والمخضرمون من التابعين على الصحيح.

وعدد المخضرمين نحو عشرين شخصًا، كما عدهم الإمام مسلم، والصحيح أنهم أكثر من ذلك، ومنهم أبو عثمان النهدي، والأسود بن يزيد النخعي.

المبحث الخامس: بيان أفضل التابعين والتابعيات:

وأهل العلم يُعِدُونَ الفقهاء السبعة من أكابر التابعين وفضلائهم:

والفقهاء السبعة: " عبارة يطلقها الفقهاء على سبعة من التابعين، كانوا متعاصرين بالمدينة". (١٧٩)

والفقهاء السبعة، هم سبعة من فقهاء مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، اجتمعوا في زمان واحد ، معًا، هو زمان التابعين، وهم من كبار علماء التابعين، وكلهم من أهل المدينة وهم:

١-سعيد بن المسيب (ت٩٠هـ)

٢-عروة بن الزبير (ت٩٤هـ)

٣-القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت١٠٦هـ)

٤-وعبيد الله بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بن عتبة بن مسعود(ت٩٤هـ)

٥-وخارجة بن زيد بن ثابت(ت١٠٠هـ)

٦-سليمان بن يسار (بعد المائة).

[١٧٩] - الموسوعة الفقهية: (١ /٣٦٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

واختلف في السابع: فقيل هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف (ت٩٤هـ)، وهو قول الأكثر، وقيل هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب(ت١٠٦هـ)، وقيل هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي(ت٩٤هـ)، "

وقال أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله:

"هم: سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَعُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ.

رُوِّينَا عَنِ الْحَافِظِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ قَالَ : " هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءُ السَّبْعَةُ عِنْدَ الْأَكْثَرِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحِجَازِوَرُوِّينَا عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: " كَانَ فُقَهَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ يَصْدُرُونَ عَنْ رَأْيِهِمْ سَبْعَةً " فَذَكَرَ هَؤُلَاءِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَذَكَرَ بَدَلَهُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ.

وَرُوِّينَا عَنْ أَبِي الزِّنَادِ تَسْمِيَتَهُمْ فِي كِتَابِهِ عَنْهُمْ ، فَذَكَرَ هَؤُلَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَلَ أَبِي سَلَمَةَ وَسَالِمٍ ". (١٨٠)

وقال الحافظ العراقي رحمه الله في "ألفيته":

وَفِي الكِبَارِ الفُقَهَاءِ السَّبْعَهْخَارِجَةُ القَاسِمُ ثُمَّ عُرْوَهْ
ثُمَّ سُلَيْمَانُ عُبَيْدُ اللهِسَعِيدُ والسَّابِعُ ذُو اشْتِبَاهِ
أَبُو سَلَمَةٍ أَوْ سَالِمٌأَوْ فَأَبو بَكْرٍ، خِلَافٌ قَائِمُ. (١٨١)

وقال أبو الزناد:

---

[١٨٠]-يُنظر: "مقدمة ابن الصلاح" (ص ٣٠٥)، وينظر: "تدريب الراوي" للسيوطي(٢ / ٦٩٩) .

[١٨١]- ألفية العراقي: (ص: ١٦٧):

شبكة الألوكة www.alukah.net

ألا من لم يَقْتَدي بأئمةفقِسمَتُه ضِيزَى عن الحق خارجهْ

فخذهم: عُبيد الله، عُرْوَة، قاسمٌ،سعيدٌ، سليمانُ، أبو بكرٍ، خارجهْ. (١٨٢)

ولقد تنازع الأئمة في أفضل التابعين

فقيل أفضلهم: سعيد بن المسيب وعلقمة ومسروق.

وقيل: قيس بن أبي حازم وأبو عثمان النهدي ومسروق.

وقيل: أويس القرني.

وقيل غير ذلك. (١٨٣)

ويوضح ذلك أبوعبدالله محمد بن خفيف الشيرازي بشيء من البيان فيقول:

أ-أهل المدينة يقولون: أفضل التابعين سعيد بن المسيب.

ب- وأهل الكوفة يقولون : أويس القرني.

وحجتهم ما ثبت في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"إن خير التابعين رجل يُقال له أويس. وله والده، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم" (١٨٤).

ج-وأهل البصرة يقولون : الحسن البصري. (١٨٥).

١٨٢-فتح المغيث بشرح ألفية الحديث -أقسام الحديث - معرفة التابعين - ذكر الفقهاء السبعة: (١٥٧/٤)

١٨٣- ينظر: علوم الحديث لابن الصلاح(٣٠٨)، والتبصرة والتذكرة للعراقي(٤٨/٣)

١٨٤-رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أويس القرني، (١٩٦٨/٤)رقم:(٢٥٤٢)

١٨٥-تدريب الراوي: (٤٤٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

لا شك أن أفضل التابعين هو أويس القرني(١٨٦) -رحمه الله – وهو قول أهل الكوفة

سبب اختلاف العلماء في التفاضل بين التابعين

مع ثبوت حديث تفضيل أويس عند مسلم، وهو صريح في تفضيل أويس، إلا أنه فقد ورد قد ورد خلاف بين بعض أهل العلم في أفضل التابعين ومما ورد في ذلك:

قول الإمام أحمد بن حنبل:

"أفضل التابعين سعيد بن المسيب. فقيل له: فعلقمة والأسود؟ فقال: سعيد وعلقمة والأسود". (١٨٧)

وقول علي بن المديني: "سعيد بن المسيب هو عندي أجل التابعين". (١٨٨)

وقول أبي حاتم الرازي: "ليس في التابعين أنبلُ من ابن المسيب". (١٨٩)

وقول الحافظ العراقي معتذرًا للإمام أحمد في تفضيله لسعيد بن المسيب:

"وأما تفضيل أحمد لابن المسيب وغيره فلعله لم يبلغُه الحديث، أو لم يصح عنده". (١٩٠)

وتعقب السخاوي الحافظ العراقيفي فتح المغيث بقوله:

١٨٦-أُويس بن عامر القرني، اليماني. سيد التابعين في زمانه، عابد تقي من أهل اليمن. قال الذهبي: استوعب ابن عساكر أخباره في تاريخه صلى الله عليه وسلم: (٩٧/٣) رضي الله عنه: (السير ١٩/٤).

١٨٧-تهذيب الكمال ٧٣/١١، والمقنع في علوم الحديث ٥١٣/٢

١٨٨ -شرح التبصرة ٤٨/٣

١٨٩-نفس المرجع السابق

١٩٠-نفس المرجع السابق

شبكة الألوكة www.alukah.net

فلا يحسن، فإنه قد أخرجه في مسنده(٢٧) من الطريق الذي أخرجه مسلم منها بلفظ: "إن خير التابعين رجل يُقال له: أويس". (١٩١) (١٩٢)

قلت: فلا معنى إذاً لقوله: لم يبلغه الحديث، ولم يصح عنده، فإنه رواه من طريق مسلم في صحيحه.

فبقي أن يُحمل قول الإمام أحمد بأنه لعله أراد الأفضلية في العلم لا الخيرية الواردة في

الحديث. (١٩٣)

وينقل أبو عمر ابن الصلاح علوم الحديث عن الإمام أحمد أنه فيقول:

"لا أعلم في التابعين مثل أبي عثمان النهدي (١٩٤) (١٩٥)، وقيس بن أبي حازم". (١٩٦)

وعنه أنه قال: "أفضل التابعين قيس وأبو عثمان وعلقمة(١٩٧) ومسروق (١٩٨) هؤلاء كانوا فاضلين، ومن علْية التابعين".

---

[١٩١]-أخرجه احمد في المسند: (٣٨/١)

[١٩٢]-فتح المغيث ١٥٧/٣

[١٩٣]- التقييد والإيضاح ص٣٢٦، وشرح التبصرة ٤٩/٣

[١٩٤]-علوم الحديث لابن الصلاح: ص١٥١

[١٩٥]-أبو عثمان النهدي، هو عبد الرحمن بن مل – بلام ثقيلة والميم مثلثة – مخضرم ثقة ثبت عابد، من الثانية، توفي سنة خمس وتسعين. التهذيب ٢٧٧/٦، والتقريب(٤٠١٧).

[١٩٦]-قيس بن أبي حازم، واسمه حصين بن عوف البجلي، أبو عبد الله الكوفي، ثقة مخضرم، رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبض وهو في الطريق، توفي بعد التسعين، وقيل: قبلها، وقد جاوز المائة. تذكرة الطالب المعلم ص٨٨، والتهذيب ٥٦١/٤، والتقريب (٥٥٦٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم يتابع ابن الصلاح ويقول:

"وأعجبني ما وجدته عن الشيخ أبي عبد الله بن خفيف الزاهد الشيرازي(١٩٩) قال:

"اختلف الناس في أفضل التابعين، فأهل المدينة يقولون: سعيد بن المسيب، وأهل الكوفة يقولون: أويس القرني، وأهل البصرة يقولون: الحسن البصري". (٢٠٠)

والحافظ العراقي ينقل استحسان أبي عمرو ابن الصلاح لقول الشيرازي فيقول:

"واستحسنه ابن الصلاح، "ثم يعقب ويقول:" والصحيح بل الصواب ما ذهب إليه أهل الكوفة، ثم ذكر الحديث من صحيح مسلم". (٢٠١) الوارد في تفضيل أويس

وفي محاولة الجمع بين ما سلف من أقوال يقول البلقيني:

"الجمع بين الأقوال فقال: "والأحسن في تفضيل التابعين أن يُقال: من حيث الورع والزهد: أويس، ومن حيث حفظ الخبر والأثر: سعيد". (٢٠٢)

---

[١٩٧]-علقمة بن قيس النخعي، روى عن ابن مسعود كثيراً، وهو تابعي ثقة ثبت فقيه عابد، من الثانية، مات بعد الستين أو السبعين، الجرح والتعديل ٤٠٤/٦، والتقريب) ٤٦٨١.(

[١٩٨]-مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني، أبو عائشة الكوفي. من أئمة التابعين وفقهائهم، قال عنه ابن حجر: ثقة فقيه عابد. سير أعلام النبلاء ٦٣/٤، والتقريب(٦٦٠١).

[١٩٩]-هو شيخ الصوفية الشيخ العارف أبو عبد الله محمد بن خفيف الضبي الفارسي الشيرازي، ولد قبل السبعين ومائتين. وصفه السلمي بأنه شيخ المشايخ ومتمسك بالكتاب والسنة، وهو فقيه شافعي صنف كتباً كثيرة. توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. طبقات الصوفية ٤٦٢، وحلية الأولياء ٣٨٥/١٠، وطبقات الشافعية ١٤٩/٣، والسير ٣٤٢/١٦.

[٢٠٠]-علوم الحديث ص١٥١.

[٢٠١]-شرح التبصرة ٤٥/٣

[٢٠٢]-محاسن الاصطلاح ص٤٥٦

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد مر معنا آنفًا قول شيخنا العلامة الفقيه ابن عثيمين رحمه الله في تعليق وشرحه لحديث "خير الناس قرني" حيث يقول:

وهذه الأفضلية أفضلية من حيث العموم والجنس، لا من حيث الأفراد، فلا يعني أنه لا يوجد في تابعي التابعين من هو أفضل من التابعين، أو لا يوجد في التابعين من هو أعلم من بعض الصحابة، أما فضل الصحبة، فلا يناله أحد غير الصحابة ولا أحد يسبقهم فيه، وأما العلم والعبادة، فقد يكون فيمن بعد الصحابة من هو أكثر من بعضهم علما وعبادة. (٢٠٣)

وختامًا: فإن الدليل القائم على تفضيل أويس على عموم التابعين يرجح كفة أهل الكوفة من جهة، وهو اختيار الحافظ العراقي، ويُستأنس بباقي الآراء ولا تقدم على الحديث الثابت الصحيح أبدًا، ويبقى تفضيل البعض من جهة لا على العموم.

وبذلك يقترب التفضيل وتجتمع الأقوال، ويبقى تفضيل أويس على عموم التابعين لحديث الإمام مسلم الوارد في تفضيله، ويبقى المشهور عند أكثر العلماء أن أفضلهم سعيد بن المسيب من حيث حفظ الخبروالأثر.. كما اختاره البلقيني.

فعلاقة التفضيل إذًا بينها عموم وخصوص، كما لو فضل النبي بعض الصحابة رضي الله عنهم في جانب لا يعني هذا تفضيله على عموم السابقين الأولين، ولكن تفضيله فيما تميز به، كما روي في حديث أنس:

(أرحمُ أُمَّتي بِأُمَّتي أَبُو بكر، وأشدُّها حَيَاء عُثْمَان، وأعلَمُهَا بالحلال وَالْحرَام معَاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله -تَعَالَى-أُبِيّ، وأعلَمُهَا بالفرائض زيد، وَلكُل أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هَذِه الأُمّة أَبُو عُبَيْدَة بن الْجراح). (٢٠٤)

٢٠٣-مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: (١٠ /١٠٥٧-١٠٥٨)

٢٠٤-فقد صححه الألباني -رحمه الله -في الصحيحة (١٢٢٤)، المشكاة (٦١١١)، هداية الرواة (٦٠٦٥) صحيح موارد الظمآن (١٨٦٣ / ٢٢١٨)، الترمذي (٣٧٩٠و٣٧٩١)، ابن ماجه) ١٥٤ (ولكن قال مشهور حسن آل سلمان في التعليق على الحديث في الطبعة التي

شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما عن أفضل التابعيات فيقول أبو بكر بن أبي داود السجستاني:

"سيدتا التابعيات حفصة بنت سيرين، وعَمْرَة بنت عبدالرحمن، وتليهما أم الدرداء". (٢٠٥) يعني أم الدرداء الصغرىواسمها: هجيمة بنت حيي الوصابية.

المبحث السادس: ذكر أول وآخر من مات من التابعين

قال السيوطي:

"قال البلقيني: أول التابعين موتًا: أبو زيد معمر بن زيد، قتل بخراسان، وقيل: بأذربيجان سنة ثلاثين.

وآخرهم موتًا: خلف بن خليفة، سنة ثمانين ومائة". (٢٠٦)

المبحث السابع: المفسرون من التابعين

وقد سبق ذكر المفسرين من التابعين بشيء من التفصيل في صدر المطلب السادس الذي هو "بيان واضعه" فليراجع.

اعتنى بها من طبع دار المعارف:((الصواب أنه مرسل، عدا ذكر أبي عبيدة، قاله الحاكم في "المعرفة"، والخطيب في " الفصل للوصل " وجمعٌ، وذكرت كلامهم، وقرأته على شيخنا الألباني -رحمه الله -في مكتبه و أقرَّني على ما توصلت إليه ـ وكان ذلك بعد هذا التصحيح ـ وعلق تضعيفه بخطه على هامش الثالث من الصحيحة)) اهـ.

ومن الأحاديث والاثار التي تكلم عليها شيخ الإسلام ابن تيمية :

حديث: " أفرضكم زيد"

قال: ضعيف لا أصل له ، ولم يكن زيد على عهد النبيمعروفًا بالفرائض؟.

وحديث:ـ " أقضاكم علي"

قال: هذا الحديث لم يثبت ، وليس له إسناد تقوم به الحجة ، وقوله " أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل" أقوى إسنادًا منه[منهاج السنة (٧/ ٥١٢ـ ٥١٥) الفتاوى(٤٧١/١)]

٢٠٥-طبقات الحنفية:(١/ ٤١٩)

٢٠٦-تدريب الراوي: (٥١٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي بيان ذلك إيجازًا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وأما التفسير، فأعلم الناس به أهل مكة، لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعِكرمة مولى ابن عباس، وغيرهم من أصحاب ابن عباس، كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير وأمثالهم، وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود، ومن ذلك ما تميزوا به عن غيرهم، وعلماء أهل المدينة في التفسير، مثل: زيد بن أسلم الذي أخذ عنه مالك التفسير، وأخذ عنه أيضًا ابنه عبد الرحمن، وعبد الله بن وهب". (٢٠٧)

المبحث الثامن: مكانة التفسير في عصر التابعين

بانتهاء عصر الصحابة رضي الله عنهم فيما تعلق بالتفسير، تبدأ المرحلة الثانية من عصر التابعين الذين تتلمذوا على يد الصحابة، فتلقوا غالب معلوماتهم عنه. وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في استجلاء بعض ما خفي من كتاب الله، اشتهر أيضًا بالتفسير أعلام من التابعين، تكلَّموا في التفسير، ووضَّحوا لمعاصريهم خفي معانيه.

وقد اعتمد هؤلاء المفسِّرون في فهمهم لكتاب الله تعالى على مناهج متعددة، منها تفسير القرآن بالقرآن، ومنها على ما رووه عن الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، ومنها اعتمادهم على ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى بمقتضى اللغة التي كانوا محافظين على سمتها وأصولها بالسليقة.

وقد روت لنا كتب التفسير كثيرًا من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير، قالوها بمقتضى اللغة، ولم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-أو عن أحد من الصحابة. ذلك أن ما نُقِل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-

---

٢٠٧-مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير: ص١٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسَّروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض -على تدرج- كلما بَعُد الناس عن عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، ثم جاء مَن بعدهم فأتموا تفسير القرآن تباعًا، معتمدين على ما عرفوه من لغة العرب ومناحيهم في القول، وعلى ما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن... وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل التفسير". (٢٠٨)

المبحث التاسع: نهج التابعين في تفسير القرآن الكريم

لقد سلك التابعون منهاجًا واضحًا في تفسير القرآن الكريم، فكانوا يفسرون القرآن بما يلي:

١-يفسرون القرآنبالقرآن

٢-ويفسرون القرآن بالسنة

٣-ويفسرونالقرآن بأقوال الصحابة

٤-ويفسرون اللغة العربية

٥-ويفسرون الاجتهاد وقوة الاستنباط.

أولًا: تفسير القرآن بالقرآن

لقد تعددت طرق التابعين في تفسير القرآن بالقرآن ومن هذه الطرق

أ - نظائر القرآن الكريم

كتفسير الآية بآية أخرى تحمل الموضوع نفسه وإن اختلف اللفظ وقد أكثر التابعون

٢٠٨- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ج١ص٧٦

شبكة الألوكة www.alukah.net

من ذلك ومن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير الكلمات في قوله تعالى: ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)) (البقرة، الآية:٣٧). قال: قوله: ((قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا)) (الأعراف، الآية: ٢٣). حتى فرغ منها. (٢٠٩)

وجاء عن عكرمة، والحسن: في تفسير قوله تعالى: ((وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)) (الإسراء:١١٠). قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى يجهر بصلاته، فآذى ذلك المشركين بمكة حتى أخفى صلاته هو وأصحابه، فلذلك قال: ((وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا)). وقال في الأعراف: ((وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)) (الأعراف:٢٠٥). وفي تفسير قوله تعالى: ((قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ))(البقرة:٩٤). قال قتادة: وذلك أنهم قالوا: ((لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى)) (البقرة، الآية:١١١). وقالوا: ((نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)) (المائدة، الآية:١٨). فقيل لهم: ((فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)). (البقرة:٩٤) (٢١٠)

ب - الأشباه

والمراد بالأشباه تفسير الآية بما يشبهها من الآيات كتفسير الآية بالآيات التي تحمل بعض معناها مع تقارب اللفظ (٢١١) فمن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير النفس بالغير، فإنه قال في

تفسير قوله تعالى: ((لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا)) (النور:١٢). قال لهم خيرًا، ألا ترى أنه يقول: ((وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)) (النساء:٢٩).

٢٠٩-تفسير الطبري: (٦٩/١)، زاد المسير(٥٤٥/١)

٢١٠-فتح القدير (١١٦/١) تفسير التابعين(٦١٤/٢)

٢١١-تفسير التابعين(٦١٥/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول: بعضكم بعضًا و((فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ)) (النور:٦١). قال يسلم بعضكم على بعض. (٢١٢)

.ففسر مجاهد هنا النفس بالغير واستدل بورود ذلك في آيات متشابهة في القرآن تدل على هذا الجزء من المعنى. (٢١٣)

ج - الدلالة على التفسير بالسياق

وفي هذا النوع يلحظ المفسّر منهم سياق الآية فيربطها بما قبلها، أو بما بعدها سواء كان ذلك

في الآية نفسها، أو في مجموعة من الآيات (٢١٤)

مثل تفسير قوله تعالى: ((وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ)) (الأنعام: ٨٣). قال مجاهد في تفسيرها: هي ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)) (الأنعام:٨٢). (٢١٥)

ح - بيان المجمل

وفي هذا الطريق يقوم المفسر بالنظر في آيات القرآن التي فيها إجمال، وينظر في الآيات الأخرى التي يمكن أن تكون بيانًا لهذا الإجمال، كحمل المجمل على المبين ومن ذلك ما ورد عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ((خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)) (نوح: ١٤): قال: من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم ما ذكر حتى يتم خلقه. (٢١٦)

فأشار بقوله إلى الآيات التي فيها ذكر ذلك مثل قوله تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

٢١٢-تفسير الطبري (٩٦/١٨) تفسير التابعين(٦١٥/٢)

٢١٣-تفسير التابعين(٦١٦/٢)

٢١٤-المرجع السابق نفسه(٦١٧/٢)

٢١٥-تفسير الطبري(٥٠٥/١١)

٢١٦-تفسير الطبري (٢٦/٢٩) الدر المنثور(٢٩١/٨)

شبكة الألوكة www.alukah.net

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)) (المؤمنون : ١٢ ، ١٤).

خ - تفسير العام بالخاص

وفي هذا يعمد المفسر منهم إلى آية ظاهرها العموم فيحملها على معنى آخر ذكرت فردًا من

أفراد العموم (٢١٧) كقوله تعالى: ((مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)) (النساء: ١٢٣).

قال الحسن البصري: الكافر ثم قرأ: ((وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)) قال: من الكفار. (٢١٨).

وفي رواية عنه قال: (وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)) يعني الكفار، لا يعني بذلك أهل الصلاة. (٢١٩)

فالآية الأولى جاء فيها العموم في لفظة ((من)) ليعم المؤمن والكافر، فجاء الحسن فبين أنها

خاصة بالكافر مستدلاً بأسلوب الحصر في الآية الثانية. (٢٢٠) وأصرح من ذلك ما جاء عنه في تفسير الآية نفسها أنه قال: ((مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ)) (النساء: ١٢٣) إنما ذلك لمن أراد الله هوانه، فأما من أراد كرامته، فإنه من أهل الجنة ((وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ)) (الأحقاف: ١٦). (٢٢١)

ر - التفسير باللازم

٢١٧-تفسير التابعين(٦٢١/٢)

٢١٨-تفسير الطبري (٢٣٧/٩) زاد المسير(٢١٠/٢)

٢١٩-تفسير الطبري(٢٣٨/٩)

٢٢٠-تفسير التابعين(٦٢٣/٢)

٢٢١-تفسير التابعين(٦٢٣/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

المراد بالتفسير باللازم أن المفسر لا يذكر صراحة تفسيرًا للآية التي هو بصددها، بل يذكر شيئًا من لوازم ذلك، ويربطه بآية أخرى، فمن ذلك ما جاء عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ)) (البقرة: ١٥٦)، فقد قال: لو أعطيها أحد لأعطيها

يعقوب، ألم تسمع: ((يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ)(يوسف: ٨٤). (٢٢٢) أنه لم يكن يعرف ((إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))، وإلا لقالها، بدلاً من تأسفه على ذهاب يوسف. (٢٢٣)

ز - توضيح المبهم

ومن طرق التفسير التي اتبعها التابعون ـ أيضًا ـ إيضاح مبهم آية بآية أخرى لإزالة الإبهام. (٢٢٤)، ومن ذلك ما قام به عكرمة من رفع الإبهام الواقع في لفظه ((الحين)) استدل بالآية التي تبين أن المراد منه سنة، فعنه أنه قال: أرسل إليّ عمر بن عبد العزيز فقال: يا مولى ابن عباس: إني حلفت ألا أفعل كذا وكذا حينًا، فما الحين الذي تعرف به؟ قلت: إن من الحين حينًا لا يدرك، ومن الحين حين يدرك، وأما الحين الذي لا يدرك فقول الله: ((هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا)) (الإنسان: ١). والله ما يدري كم أتى له إلى أن خلق، وأما الذي يدرك فقوله: ((تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)) (إبراهيم: ٢٥). فهو ما بين العام إلى العام المقبل، فقال: أصبت يا مولى ابن عباس، ما أحسن ما قلت. (٢٢٥)

س - بيان معنى (لفظ)، أو إيضاح مشكلة

وقد كثر هذا النوع في تفسير التابعين فصاروا يتناولون آيات القرآن بالتفسير بآيات أخرى

٢٢٢-تفسير الطبري(٣/٢٢٤)

٢٢٣-تفسير التابعين(٢/٦٢٣)

٢٢٤- تفسير التابعين(٢/٦٢٣)

٢٢٥-المصدر نفسه(٢/٦٢٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

تبين هذا المعنى، وتلكم الألفاظ (٢٢٦)، ومثال ذلك كتفسير الحسن البصري ((يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ)) (النازعات: ٦). قال: النفختان، أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحي الموتى ثم تلا الحسن: ((وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ) (الزمر: ٦٨). (٢٢٧)

والأمثلة كثيرة على تفسير التابعين للقرآن بالقرآن، ومن أراد المزيد فليراجع تفسير التابعين. (٢٢٨)

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة

لا شك أن السنة مبينة للقرآن موضحة له قال الشاطبي: وهي راجعة في معناها إلى الكتاب، فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله، وبسط مختصره (٢٢٩)، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أعلم بكلام الله وأكثر قدرة على فهم نصوص الآيات من غيره مع ما أوحاه الله تعالى من المعاني، فهو صلى الله عليه وسلم كما وصفه ربه بقوله: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)) (النجم: ٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه). (٢٣٠)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

فإن قال قائل، فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن... إلى أن يقول ـ فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له،

٢٢٦-المصدر نفسه(٦٢٤/٢)

٢٢٧-تفسير الطبري (٣١/٣٠)، تفسير التابعين(٦٢٧/٢)

٢٢٨-تفسير التابعين (٦٠٨/٢ إلى ٦٢٧)

٢٢٩-تفسير التابعين (٦٢٨/٢) الموافقات(١٢/٤)

٢٣٠-صحيح رواه أحمد في المسند (٢٨ / ٤١٠) (١٧١٧٣) وأبو داود في سننه (٤ / ٢٠٠) (٤٦٠٤) وغيرهما، وصححه الألباني في صحيح السنة للمروزي: (٢٤٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن، قال تعالى: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)) (النساء: ١٠٥). وقال تعالى: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (النحل: ٤٤). وقال تعالى: ((وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (النحل: ٦٤) (٢٣١)

وقد اتفق العلماء على أن الأخذ بالسنة واجب والعمل بها حتم وتحكيمها فرض بل جاء عن مكحول التابعي أنه قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن. (٢٣٢)

وقد كثر عن التابعين النقول التي تدل على شدة متابعتهم للسنة، قال ربيعة للزهري: إذا سُئلت عن مسألة فكيف تضع؟ قال: أحدث فيها بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم فعن أصحابه، فإن لم يكن

عن أصحابه اجتهدت رأيي (٢٣٣)، ومما يدل على عظيم احتفائهم وعنايتهم بالمروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قل أن نجدهم يخالفون ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من تفسيره.

وفيما يلي بعض الأمثلة الدالة على ذلك:

أ ـ فمن هذا ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله: ((غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

---

[٢٣١]-الفتاوى(٣٦٣/١٣)

[٢٣٢]-تفسير التابعين (٦٢٩/٢) تفسير القرطبي(٣٠/١)

[٢٣٣]-جامع بيان العلم وفضله (٧٥/٢) تفسير التابعين(٦٣٧/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)) (الفاتحة، آية:٦). قال صلى الله عليه وسلم: (اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون) (٢٣٤)

وبذلك فسرها: مجاهدٍ (٢٣٥)، وسعيد بن جبير (٢٣٦) وغيرهما. قال ابن حاتم: لا أعلم خلافًا بين المفسرين في تفسير ((الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ)) باليهود، و((الضَّالِّينَ)) بالنصارى. (٢٣٧)

ب ـ ومنه أيضًا ما صح عنه صلى الله عليه وسلم في بيان قوله: ((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)) (البقرة، الآية ١٨٧). قال صلى الله عليه وسلم: هو سواد الليل وبياض النهار (٢٣٨)، ولم يخالف في ذلك أحد من التابعين وبه قال الحسن (٢٣٩)، وقتادة (٢٤٠).

جـ ـ من ذلك ما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في تفسير معنى الظلم الذي ورد في قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)) (الأنعام: ٨٢). قال صلى الله

---

[٢٣٤]-صحيح: رواه الترمذي (٢٩٥٤)، وصححه العلامة الألباني في سنن الترمذي: (٥ / ٢٠٤)، وقد سبق ذكره وتخريجه بطوله في ثنايا وصف الطائفة الثانية المغضوب عليهم، وفي موضع عدة من الرسالة.

[٢٣٥]-تفسير الطبري(١٨٨/١)

[٢٣٦]-الدر المنشور(٤١/١)

[٢٣٧] تفسير ابن أبي حاتم رقم٢٢، تفسير التابعين(٦٣٨/٢)

[٢٣٨]-البخاري، كتاب التفسير -الفتح(١٨٢/٨)

[٢٣٩]-تفسير الطبري(٥١٠/٣)

[٢٤٠]-المصدر السابق: ونفس الجزء ة الصفحة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه وسلم حين شق ذلك على أصحابه فقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال: ليس بذلك ألم تسمعوا قول لقمان: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم)) (لقمان:١٩) (٢٤١)

وهذا هو المنقول عن التابعين قال به: إبراهيم النخعي، وقتادة، ومجاهد، وسعيد بن جبير. (٢٤٢)

س ـ ومنه ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم في تفسير للسبع المثاني في قوله تعالى: ((وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)) (الحجر: ٨٧). قال صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه: (ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ فذهب النبي صلى الله عليه وسلم ليخرج، فذكرته، فقال: الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته. (٢٤٣)

وهذا التفسير هو المروي عن سعيد بن جبير والحسن، ومجاهد، وقتادة. (٢٤٤).

ش ـ ومن ذلك بيانه صلى الله عليه وسلم لمعنى: الأمة الوسط، التي وردت في قوله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)) (البقرة: ١٤٣). ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله:((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)) قال((عَدُولاً)) (٢٤٥)

---

[٢٤١]-البخاري، كتاب التفسير -الفتح(٢٩٤/٨)

[٢٤٢]-تفسير التابعين(٦٣٩/٢)

[٢٤٣]-البخاري، كتاب التفسير -الفتح(٣٨١/٨)

[٢٤٤]-تفسير التابعين(٦٤١/٢)

[٢٤٥]-رواه البخاري (٤٤٨٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(يُدْعَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلام يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟فَيَقُولُ:نَعَمْ؛ فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ أَوْ مَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ ، قَالَ : فَيُقَالُ لِنُوحٍ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ، قَالَ : فَذَلِكَ قَوْلُهُ : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن جرير الطبري في تفسير الآية:

"فمعنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمة وسطًا عدولاً شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها ، ويكون رسولي محمد صلى الله عليه وسلم شهيدًا عليكم بإيمانكم به ، وبما جاءكم به من عندي " . (٢٤٦)

وبهذا التفسير قال: مجاهد، وعطاء وقتادة.

هذه بعض الأمثلة التي اعتمدها التابعون في تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية.

ثالثًا: تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم

إن التابعين ما علموا كيفية التلقي من الكتاب والسنة وكذلك الاجتهاد، ونحو ذلك إلا بسبب تربيتهم على أيد الصحابة وخبرتهم بمناهجهم الاستدلالية، وتعلمهم لطرق الاستنباط وتلقيهم الرواية النبوية، ورؤيتهم التطبيق العملي لذلك كله ولقد استوعب التابعون رسالة الصحابة وعرفوا فضلهم.

فها هو مجاهد يقول: العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (٢٤٧).

وكان التابعون يقدمون قول الصحابي على قولهم،يقول الشعبي: إذا اختلف الناس في شيء فانظر كيف صنع عمر؟ فإن عمر لم يكن يصنع شيئًا حتى يشاور، فقال أشعث ـ راوي الأثر ـ فذكرت ذلك لابن سيرين فقال: إذا رأيت الرجل يخبرك أنه أعلم من عمر فأحذره (٢٤٨).

وكان منهج التابعين في الأخذ عن الصحابة يدور حول:

وَسَطًا) قَالَ : الْوَسَطُ الْعَدْلُ) وزاد أحمد (١٠٨٩١) : (قَالَ : فَيُدْعَوْنَ فَيَشْهَدُونَ لَهُ بِالْبَلاغِ ، قَالَ : ثُمَّ أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ).

[٢٤٦]-تفسير الطبري: (٨/٢)

[٢٤٧]-إعلام الموقعين (١٥/١)، تفسير التابعين(٦٥١/٢)

[٢٤٨]-الحلية (٣٢٠/٤)، تفسير التابعين(٦٥٣/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

أ ـ إذا كان تفسير الصحابي يرفعه للنبي صلى الله عليه وسلم، فهذا هو المطلب الرئيس، والغاية القصوى، وليس بعده قول، وكذلك ما كان من تفسير الصحابي، وهو وارد في سبب النزول بالصيغة الصريحة (٢٤٩)، وكذلك فيما لا مجال للرأي فيه، فهذا يقف عنده لا يجاوزونه،لأن الصحابي شاهد التنزيل، ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ((حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ)) (الأنعام، آية: ٦١). فقد قال فيها ابن عباس رضي الله عنهما: إن لملك الموت أعوانًا من الملائكة رواه عنه إبراهيم النخعي. (٢٥٠)

ولذ جاءت الرواية من تفسير إبراهيم نفسه بالاقتصار على قول ابن عباس ولم يزد عليه شيئًا فقال: أعوان ملك الموت (٢٥١)، وكذا جاء عن قتادة، ومجاهد والربيع. (٢٥٢)

ب ـ وإذا كان التفسير الوارد عن الصحابي من باب الاجتهاد، وجار على مقتضى اللغة، فإنهم في الغالب لا يخالفونه، فإن الصحابة رضي الله عنهم أهل اللسان والبيان والفهم، ولأجل ذلك اعتمد مجاهد تفسير ابن عباس رضي الله عنهما دون غيره عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: ((فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ)) (الأنعام، آية: ٩٨). فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: المستقر بالأرض والمستودع عند الرحمن. (٢٥٣)، وقال مجاهد: المستقر الأرض والمستودع عند ربك. (٢٥٤)

---

[٢٤٩]-أي سبب نزول كذا هو كذا وكذا أو حدث كذا ونزل كذا.

[٢٥٠]-تفسير الطبري (٤١٠/١١)، زاد المسير(٥٥/٣)

[٢٥١]-تفسير الطبري(٤١٠/١١)

[٢٥٢]-تسير التابعين(٦٥٨/٢)

[٢٥٣]-تفسير التابعين(٦٥٨/٢)

[٢٥٤]-تفسير الطبري (٥٧٠/١١)، زاد المسير(٩٢/٣)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وجاءت رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المستقر في الرحم، والمستودع في الصلب (٢٥٥)، وتأتي الرواية عن مجاهد أيضًا: أن المستقر في الرحم، والمستودع في الصلبموافقة للرواية الثانية لشيخه، وهكذا كان حال ابن جبير في تفسير الآية. (٢٥٦)

ج ـ إذا تعارضت الأقوال المنقولة في الصحابة، فإن التابعين يسلكون مسلك الترجيح بينها، والترجيح قد يكون باللغة، أو بالحديث أو بقول صحابي آخر يجمع بين الأقوال، فمن الأول ما جاء في تفسير قوله تعالى: ((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ)) (الإسراء، آية: ٧٨). جاء عن ابن عباس في تفسيرها أن دلوكها غروبها (٢٥٧)، وجاء عنه أن دلوكها: زيغها بعد نصف النهار (٢٥٨)، وجاء عن ابن مسعود أن دلوكها غروبها (٢٥٩)، وجاء عنه أيضًا أن دلوكها ميلها يعني: الزوال (٢٦٠).

فاختار قتادة أن دلوكها زوالها، ففسرها به (٢٦١) مع أنه نقل القول بغروبها عن ابن مسعود (٢٦٢)، ولعل سبب هذا الاختيار هو أن اللغة تدل على أن الدلوك هو الميل، فيكون المراد صلاة الظهر، ورجحه ابن جرير، وناقش الأول (٢٦٣)، وقد يكون الترجيح لأثر مرفوع، ومنه ما جاء عن قتادة وهو يحدث عن سعيد بن المسيب، قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلفين في

---

[٢٥٥] ـ تفسير الطبري (٥٧٠/١١)، زاد المسير(٩٢/٣)

[٢٥٦] ـتفسير الطبري(٥٧٠/١١)

[٢٥٧] ـتفسير الطبري(١٣٤/١٥)

[٢٥٨] ـفتح القدير(٢٥٤/٣)

[٢٥٩] ـزاد المسير(٧٢/٥)

[٢٦٠] ـفتح القدير(٢٥٤/٣)

[٢٦١] ـ زاد المسير(٧٢/٥)

[٢٦٢] ـزاد المسير(٧٢/٥)

[٢٦٣] ـتفسير الطبري(١٣٦/١٥، ١٣٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

الصلاة الوسطى، وشبك بين أصابعه (٢٦٤)، فرجح الحسن أنها صلاة العصر(٢٦٥)، متابعًا في ذلك عدًا من الصحابة رضي الله عنهم، والمرجح هنا هو الأثر المرفوع الذي رواه الحسن عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الصلاة الوسطى صلاة العصر". (٢٦٦). (٢٦٧)

وقد يكون الترجيح بقول صحابي آخر يقدِّم به عموم الآية على ما. ما ورد في خصوصها، ويجمع به بين الأقوال، فمن ذلك تفسيرهم لقوله تعالى: ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)) (الكوثر: ١). فقد جاء تفسير الكوثر عن جمع من الصحابة أنه نهر في الجنة (٢٦٨)، وعن ابن عباس أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه (٢٦٩)، وتابعه على ذلك سعيد بن جبير، فقال أبو بشر لسعيد: إنا كنا نسمع أنه نهر في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه (٢٧٠) فهنا رجح ابن جبير العموم في الآية مستند لقول ابن عباس رضي الله عنهما، ولم يذهب إلى الخصوص الأثر الوارد في ذلك، أما إذا لم يكن ثمة مروي عن الصحابة في ذلك، فعندئذ يدخل منهم من يدخل في باب الاجتهاد (٢٧١).

وقد أدت الرواية عن الصحابة والاعتماد عليها في التفسير إلى ظهور نتائج وآثار

---

[٢٦٤]-زاد المسير(٢٨٢/١)

[٢٦٥]-تفسير التابعين(٦٦١/٢)

[٢٦٦]-تفسير الطبري (١٩٤/٥) رقم ٥٤٣٨

[٢٦٧]-رواه البخاري: كتاب الدعوات-باب الدعاء على المشركين: حديث رقم: (٦٣٩٦)، ومسلم: كتاب المساجد-باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر. حديث رقم: (٢٠٥-٢٠٦).

[٢٦٨]-زاد المسير(٢٤٨/٩).

[٢٦٩]-الدر المنثور(٦٤٩/٨)

[٢٧٠]-زاد المسير(٢٤٨/٩)

[٢٧١]-تفسير التابعين(٦٦١/٢)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ترتبت على ذلك منها، حفظ أخبار الصحابة ومعرفة دقيق أحوالهم والتمييز بينهم، والالتزام بمناهجهم والإفادة منها، وتبني أقوالهم. (٢٧٢)

رابعًا: تفسير القرآن بلغة العرب

لقد كان تنزيل القرآن الكريم باللسان العربي المبين؛ بسبب اختيار الله أمة العرب لحمل الرسالة الخاتمة، إذ من شأن الرسالة أن تكون معقولة بلسان القوم الذين أرسل فيهم حاملها ومبلغها، كما قال تعالى :(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُول إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمه لِيُبَيِّن لَهُمْ)، فهنا جاء تعليل إرسال الرسول - وهنا يراد به الجنس لا العين - في قومه لإفادة البيان، ولن تقوم الحجة بلسان غير اللسان الذي يتحدث به القوم، ولكن العجب في الحقيقة من جهة جعل رسالة القرآن الرسالة الخاتمة، وجعل رسولها عليه الصلاة والسلام الرسول الخاتم، وجعل إطارها الحاضن لها اللسان العربي المبين،

---

[٢٧٢]-المصدر نفسه (٦٧٢/٢ إلى ٦٧٧)، ويُنظر: منهج التابعين في تفسير القرآن الكريم- أسامة

منتديات المطاريد.

يقول الباحث: بعد البحث والتحري تبين أن كاتبه قد اقتبسه كامًلًا من كتاب تفسير التابعين (عرض ودراسة مقارنة) لمؤلفه د. محمد بن عبد الله الخضيري، دون أن بعزوه لمؤلفه، ومن بركة العلم بل ومن أمانته أن يُنسب القول لقائله، ووجدت فيه سقط وأخطاء، فجزى الله مؤلفه خيرًا وضاعف مثوبته، وكنا نأمل من المؤلف غفر الله له وزاده علمًا ألا يحصر مصادر بحثه القيم في مراجع ومصادر محدودة قد لا تتجاوز خمسة مصادر، ولا شك أن هذا أمر من الأهمية بمكان، وكذلك هناك بعض الملاحظات على الصناعة الحديثية تم بعون الله تصويبها، ومن أهمها: الحكم على كل حديث لم يرد في الصحيحين.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وليس هذا فحسب، بل وجعل الجهة المستهدفة به العالمين كافة، وفي هذا خصوصية انفردت به أمة العرب عن غيرها من الأمم السالفة، وفي الحديث:

"كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة". (٢٧٣)

وإن الناظر في التفاسير المنقولة عن التابعين يقف على مصادر متعددة لتفاسيرهم، وأهم مصادرهم فيه: الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة، واللغة، ثم الاجتهاد بعد تحصيل العلوم والمعارف اللازمة للاجتهاد، مع رجاحة العقل، وإخلاص النية، والموهبة الربانية، وبهذا الاعتبار نجد أن اللغة تعد أحد المصادر الرئيسة في تفسير التابعين، ولو وقفنا على بعض النماذج التي تظهر اعتماد علماء التفسير من التابعين على اللغة؛ لبيان القيمة المنهجية التي يتبوؤها التفسير اللغوي:

أولاً: مجاهد بن جبر:

وهو أعلم التابعين بالتفسير: فقد كان رحمه الله من اللغة واللسان العربي بمكان، فوظف ذلك لخدمة كتاب الله تعالى، ولم ير لغير أهل اللسان العربي الخوض في معاني القرآن، بل يقول لا يحل لأحد يؤمن بالله وباليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب.

:فعند قوله تعالى: (وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ)، قال: ل تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في

كلام العرب: تضعف. (٢٧٤)

ثانيًا: عكرمة مولى ابن عباس

٢٧٣-صحيح البخاري، رقم: ٣٣٥

٢٧٤-تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، د.محمد بن عبد الله الخضيري، دار الوطن، الرياض، ج١ص١٢٢

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو من أعلم علماء التفسير عند التابعين، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة، وكان عكرمة إذا قدم البصرة أمسك الحسن البصري عن التفسير والفتيا ما دام

عكرمة فيها، وقد جاء من تفسيره في قوله تعالى: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)، قال: (لا تلبس ثيابك على غدر). وتمثل بقول غيلان الثقفي

فإني بحمد الله لا ثوب غادر *** ****** لبست ولا من سوأة أتقنع

وهذا تأويل لغوي، واستعانة بالشعر على تقرير التفسير، وهو منهج أصيل عند المفسرين. (٢٧٥)

ثالثًا: الحسن البصري

كان رحمه الله من بحور العلم، رأسًا في أنواع الخير، لازم الجهاد، والعلم، والعمل، قال الشافعي: لو أشاء أقول: إن القرآن نزل بلغة الحسن لقلت: لفصاحته، وقد اشتمل تفسيره على تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة، وبالاجتهاد والاستنباط، وكان متقدمًا في علوم اللغة العربية (٢٧٦)، وما ورد من تفسيره بمقتضى اللغة، ما قاله عند قوله تعالى: (وخرقوا له بنين وبنات) (الأنعام:١٠٠)، قال: خرقوا بالتخفيف كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي قيل: خرقها ورب الكعبة. (٢٧٧)

رابعًا: قتادة بن دعامة السدوسي

---

[٢٧٥]-التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، د.عبد الغفور محمود جعفر، دار السلام، القاهرة، ط١،

[٢٧٦]المرجع سابق، ص٤٩٥.

[٢٧٧]-تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٢٠٤.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أحد الأئمة في حروف القرآن، وله اختيار من القراءات المروية، كان رأسًا في العربية، واللغة، وأيام العرب، ومن أعلم الناس بالأنساب، وقال الإمام أحمد بن حنبل: قتادة عالم بالتفسير، وباختلاف العلماء، ووصفه بالفقه، والحفظ وأطنب في ذكره، (٢٧٨)

ومن لطائفه التفسيرية، ما قاله معمر: سألت أبا عمرو بن العلاء قوله تعالى

(وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ) (الزخرف:١٣) ، فلم يجبني، فقلت: إني سمعت قتادة يقول: مطيقين. فسكت، فقلت له: ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر، لما عدلت به أحداً من أهل دهره. (٢٧٩) (٢٨٠)

---

[٢٧٨]-التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، مرجع سابق، ص٤٩٦.

[٢٧٩]-تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٢٨٤.

[٢٨٠]-والقول بالقدر مشهور في أهل البصرة،وقتادة بصري، ذكر الحافظ ابن حجر في التهذيب (٤٢٨/٣ رسالة) (وقال علي بن المديني قلت ليحيى بن سعيد إن عبد الرحمن يقول أترك كل من كان رأسا في بدعة يدعو إليها قال كيف تصنع بقتادة وابن أبي رواد وعمر بن ذر وذكر قوما ثم قال يحيى إن تركت هذا الضرب تركت ناسا كثيرا) انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في مجموع الفتاوى ج: ٢٨ ص: ٢١٢

"وكذلك لما كثر القدر فى أهل البصرة فلو ترك رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم) انتهى.

لكنه رحمه الله وإن كان يقول بشيء من ذلك إلا أنه لم يكن يُظْهِر هذا ويُشْهِرُه بل كان يكتمه، قال الإمام أحمد: (كان قتادة وسعيد يقولان بالقدر ويكتمان)، وقال العجلي: (... وكان يقول بشيءٍ من القدر، وكان لا يدعو إليه، ولا يتكلم فيه)، فلعل عدم إظهاره لذلك هو ما جعل أبا داود يخفى عليه ذلك حيث قال: (لم يثبت عندنا عن قتادة القول بالقدر)، ولعله تاب من ذلك ورجع عنه كما قال الذهبي في "السير"(٤١٤/٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

خامسًا: عامر بن شراحيل الشعبي

وهو إمام حافظ، وحجة متقن، وقد عرض القرآن على أبي عبدالرحمن السلمي وعلقمة، وقد كان متقدمًا في اللغة العربية، ولذلك كانت أحد مصادر في تفسير القرآن الكريم بالإضافة إلى بقية المناهج التفسيرية كالتفسير بالقرآن والسنة وأقوال الصحابة وأقوال معاصريه من التابعين، ومما نقل عنه في تفسير القرآن بالمقتضى اللغوي ما قاله في تفسيره لقوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) (النازعات:١٤)، قال: إذا هم بالأرض، ثم تمثل ببيت أمية بن أبي الصلت

وفيها لحم ساهرة ***وما فاهوا به أبداً مقيم

فهنا رحمه الله تعالى يستعمل اللغة وكلام العرب وأشعارهم قبل الإسلام في تفسير كلام الله تعالى. (٢٨١)

ومما يُستنبط ويُفاد مما ذُكِرَ آنفًا مايلي

أولًا: التفسير اللغوي يعد أحد مصادر التفسير عند السلف، وقد ظهر لنا كيف أن التابعين أسسوا علمهم عليه كأحد المناهج المعتمدة في تعاملهم مع النص القرآني.

ثانيًا: أن الذي دفع التابعين إلى التفسير اللغوي فيما يظهر عدم وجود نصوص منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم، وهذا يعني أن التفسير اللغوي يعد أحد وجوه الاجتهاد في التفسير الذي تمكن منه التابعون، وهذا يستلزم كما قلنا أدوات الاجتهاد والبحث.

ثالثًا: القيمة العليا التي تمتع بها جيل التابعين؛ لكونهم تتلمذوا على خير الأمة بعد رسولها صلى الله عليه وسلم، وهذا يعطيهم منزلة يقصر عنها غيرهم من

[٢٨١]-تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٣٣٠.

شبكة الألوكة www.alukah.net

اللاحقين، وقد تبين لنا الإحكام العلمي والمنهجي واللغوي الذي تمتعوا به رحمهم الله تعالى.

رابعًا: أن القرآن الكريم بحاجة دائمًا إلى التعرض بحثًا واستنباطًا وفقاً للمناهج التي وضعها العلماء استقراء وتتبعًا من نصوص المتقدمين من السلف: الصحابة والتابعين وتابعيهم، والمحققين من العلماء اللاحقين.

خامسًا: الأمة مطالبة وخاصة طلبة العلم بضرورة تقدير تلكم المرحلة الزمنية؛ لكونها حاملة لواء نقل العلم إلى البشرية جمعاء من أفواه الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، فكل خير في اتباع من سلف كما أن كل شر في ابتداع من خلف، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها كما قال الإمام مالك رحمه الله.(٢٨٢)

وختامًا: فإن من تأمل وتتبع التفسير عند التابعين يتضح له عيانًا أن اللغة مصدرًا أساسيًا وأصيلًا قد اعتمدوه، ولا شك أن من أهم الأسباب الداعية لذلك:

١-أنهم أهل اللسان العربي الأصيل الذي لم تخالطه عُجمة

٢-سليقتهم العربية الجبلية ومعرفتهم بلغة العرب وفنونها وأسرارها وأساليبها وبلاغتهم وفصاحتهم بالسليقة التي عايشوا بها لغتهم ومارسوها وألفوها وأتقنوها بل وأحبوها

٣-اتقانهم للشعر العربي الفصيح ومعرفة فنونه ودروبه وأشكاله

خامسًا: تفسير القرآن بالاجتهاد وقوة الاستنباط

"قد ظهرت اجتهادات التابعين في التفسير، حتى إبان عهد الصحابة، وشملت اجتهاداتهم مواطن كثيرة، غالبها مما سكت عنه الصحابة ومن أهمها:
١ـ بيان المراد من النص، وذلك، إذا كان النص خفي الدلالة بسبب إجمال في اللفظ

٢٨٢-تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، مرجع سابق، ج١ص٣٣٠- وللاستزادة: يُنظر: التابعون ومنهجية التفسير اللغوي-د. فارس العزاوي-موقع الألوكة.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أو التركيب.

٢-استنباط بعض الأحكام من النصوص القرآنية.

٣-بيان الفروق بين ما تشابه من الكلمات، والمعاني، والتفسير بين النظائر.

٤-الفائقة بدقائق من علم الكتاب العزيز، كمباحث عد الآيات، والكلمات في القرآن الكريموغيرها.

وقد كان لاجتهاد التابعين في تفسير الآيات مميزات منها:

١-تنوع عبارات الاجتهاد وتعددها.

٢-الإيجاز غير المخل

٣-عمق التأمل ودقة التفسير

٤-قوة الاستنباط". (٢٨٣)

المبحث الخامس: التفسير اللغوي للقرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: بيان مكانة اللغة من الدين وعلومه ولا سيما علم التفسير

في هذا المبحث محاولة-بإيجاز-بيان أهمية اللغة وبيان مكانتها في هذا الجانب العظيم.

فإنه لما كان القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى،قرآنا عربيًا، كانت لغته العربية طريقًا لفهم معانيه وإيضاح آياته وبيان مقاصده ومراميه،وبدون فهمه بلغته التي أنزله الله بها يقع الخلل والاضطراب في فهم آياته.

والمعنى باللغة العربية هنا إنما هو بمجموعها، أي بمجموع اللسان العربي المبين، والذي يُقصد به متن اللغة نفسها وأس وأم علومها من نحو وتصريف

---

[٢٨٣]-تفسير التابعين(٢/٧١١)

شبكة الألوكة www.alukah.net

للأفعال، واشتقاق، وعلم غريب القرآن وإعرابه، وعلم البلاغة "بيان، وبديع، ومعاني.

وقد بيَّن اللهُ في غيرِ موضع مِن كتابه الكريم مكانة القرآن ومكانة كونه بلسان عربي مبين: فقال تعالى:(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥)، وقال:عز من قائل: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا) (الرعد: ٣٧)، وقال سبحانه: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) (الشورى: ٧)، وقال :(حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف: ١ ـ ٣)، وقال تبارك وتعالى:(قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزُّمَر: ٢٨).

ومع تلك المكانة العالية والمنزلة الرفيعة السامية للغة القرآن،فإنه لا يجوز لمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يكون اعتماده فيه على مجرد اللغة العربية فحسب، لأن ذلك يؤدي إلى تعطيل أصول التفسير ومصادره الأصلية التي بينها أئمة التفسير واعتمدوها في تفسير كلام الله جل في علاه، ألا وهي:

تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، ثم تفسيره بأقوال الصحابة، ثم تفسيره بأقوال التابعين، ثم يأتي في المرتبة الخامسة ما نحن بصدده من تفسير القرآن بلغته التي أنزله الله بها، وإن لم يكن ذلك كذلك لذهب الكثير من الأصول والمعاني والمفاهيم الشرعية الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وفي نحو ذلك يقولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"العربية إنما احتاج المسلمون اليها لأجل خطاب الرسول بها، فإذا أعرض عن الأصل كان أهل العربية بمنزلة شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات السبع ونحوهم من حطب النار". (٢٨٤)

٢٨٤- فتاوى ابن تيمية، الجزء الثالث عشر، ص ٢١٧.

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله:

"ومن تكلف ما جهل وما لم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب-إن وافقه من حيث لا يعرفهغير محمودة والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه". (٢٨٥)

ومما يجب تأكيده لدى المسلمين عمومًا، ولدى الباحثين والدارسين للتفسير وعلومه خصوصًا، أهمية اللغة في فهم مراد كلام الله -تعالى -إعرابًا وتصريفًا وبلاغًة -بيانًا وبديعًا ومعانيَ -وأنها تُعد مفتاح فهم الأصلين العظيمين؛ الكتاب والسنة، فهي من أهم وأَجَلِّ الوسائل إلى الموصلة أسرارهما، وفهم دقائقهما.

فإن الله وحده هوالذي خلق الأَلْسُن وعلم اللغات، وبين ألفاظ المَعاني وجعلها واضحات بحَسَبِ ما اقتضَتْهُ حِكَمُه البالغات، وقد علَّم آدَمَ الأسماءَ كُلَّها، وأَظْهَرَ بذلك شَرَفَ النطق باللغات، وقد تميزت العربية بنزول القرآن بها على جميع اللغات، وختم الله رسله بنبي عربي يُفصِحُ بفصيحِ الكلمات البيات عليه من ربه أطيب الصلوات والسلام وأزكى التحيات.

وقد اختارَ اللهُ تعالى العربية فجعلهابيانًا وتبيانًا لدينه: كتابًا وسنَّةً، عبادةً وشريعة ومنهاجًا، سلوكًا وتربية وأخلاقًا، وامتنَّ بها على عمومعباده عامَّةً وعلى العربِ منهم خاصَّةً، وما ذلك إلَّا لحكم بالغة، عَلِمنا منها ما علمنا وجهلنا منها ما جهلنا، ومن أبرز تلك الحكم الظاهرة أنها أغنَى اللغاتِ ألفاظًا وأوضحها بيانًا وأغناها وأكثرها اتِّساعًا، وأقومها وأقواها حجة وبرهانًا.

ويقول الإمام الشَّافعي رحمه الله:

٢٨٥-الرسالة للإمام الشافعي صـ٥٤

شبكة الألوكة www.alukah.net

«ولسانُ العربِ أَوْسَعُ الألسنةِ مَذْهَبًا، وأَكْثَرُها ألفاظًا، ولانعلمه يُحيطُ بجميعِ عِلْمِه إنسانٌ غير نبيٍّ، ولكنَّه لا يذهب منه شيءٌ على عامَّتِها حتَّى لا يكونَ موجودًا فيها مَن يعرفه، والعلمُ به عند العربِ كالعلمِ بالسنَّةِ عند أهل الفقه». (٢٨٦)

وإنما تزداد أهميةُ اللغة العربية ومكانتها حين بَعُد أغلبُ أهلِها عنها وعن ملكاتهاوسليقتها اللغوية السليمة؛ واستُبدِلَ اللسانُ العربي الفصيح بلهجات محلية ولكنات أعجمية،وكان ذلك من أعظم أسباب ضعف الملكات في إدراكِ معاني آي التنزيل؛ولا شك أن اللغة خيرَ معينٍ على فهم معاني آي القرآن الكريم وقد نبَّه ابنُ خلدون على مثل ذلك بقوله:

"فلمَّا جاء الإسلامُ، وفارقوا الحجاز... وخالطوا العجمَ -تغيرت تلك الملكةُ بما ألقى إليها السَّمعُ من المخالفاتِ التي للمستعربين من العجم؛ والسمع أبو الملكات اللسانية؛ ففسدت بما أُلقي إليها مما يغايرها لجنوحِها إليه باعتبارِ السمع، وخشي أهلُ الحلوم منهم أن تفسدَ تلك الملكة رأسًا بطولِ العهد؛ فينغلق القرآنُ والحديث على الفهوم، فاستنبطوا من مجاري كلامِهم قوانين لتلك الملكة مطَّردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائرَ أنواعِ الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه". (٢٨٧)

ويقول الشاطبي:

---

[٢٨٦]- ومعنَى إعرابِ القرآن - في كلام العلماء - يدور على قراءته كما تقرؤه العربُ الفُصَحاءُ بدون لحنٍ، وعلى فهمِ معناه ومعرفةِ تفسيره على مقتضى اللسان العربيِّ، ولا مانِعَ مِن إرادة المعنيين معًا إلَّا أنَّ المعنى الثانيَ أَوْلى لقلَّةِ وقوعِ اللحن زمنَ الصحابة، ولأنَّ الفِقْهَ في القرآنِ هو المطلوبُ للعمل به الذي هو الغايةُ الأسمى مِن تلاوته

[٢٨٧]-المقدمة لابن خلون: (ص: ٤٢٦)

شبكة الألوكة www.alukah.net

«وعلى النَّاظرِ في الشريعةِ والمتكلم فيها أصولًا وفروعًا أمران؛ أحدهما: ألا يتكلَّمَ في شيء من ذلك حتى يكون عربيًّا أو كالعربي؛ في كونِه عارفًا باللِّسان العربي، بالغًا فيه مبلغ العرب». (٢٨٨)

ويقول الإمام الشَّافعي رحمه الله أيضًا:

«فمن جهل هذا من لسانها -وبلسانها نزل الكتاب، وجاءت السنة -فتكلَّفَ القول في علمِها، تكلف ما يجهل بعضه، ومن تكلف ما جهل وما لم تثبتْ معرفتُه، كانت موافقته للصواب -إن وافقه -غيرَ محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غيرَ معذور؛ إذ نطق فيما لا يحيطُ علمه بالفرقِ بين الخطأ والصواب فيها»(٢٨٩).

ويقول رحمه الله أيضًا:

إن الله تعالى قد" أقامَ حُجَّتَه بأَنَّ كتابه عربيٌّ في كُلِّ آيةٍ ذكَرْناها، ثمَّ أَكَّدَ ذلك بأَنْ نَفَى عنه ـ جلَّ ثناؤُه ـ كُلَّ لسانٍ غيرِ لسان العرب في آيتين مِن كتابه فقال ـ تَبارَك وتعالى ـ:(وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) (النحل: ١٠٣)، وقال :(وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ) (فُصِّلَتْ: ٤٤)". (٢٩٠).

ولقد أبان عن هذه الأهميةِ أهلُ اللغة أنفسهم؛

يقول الزَّمَخْشَرِيُّ المعتزلي:

٢٨٨- الاعتصام للشاطبي: (١٦٨/٢-١٧٠-١٨٠).

٢٨٩- الاعتصام، (ج١ص٥٠٣).

٢٩٠-"الرسالة" للشافعي (٤٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

«وذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلومِ الإسلامية فقهها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلا وافتقاره إلى العربية بيِّن لا يُدفع، ومكشوفٌ لا يتقنَّع، ويَرَوْن الكلامَ في معظم أبواب أصول الفقه ومسائلها مبنيًّا على علمِ الإعراب».(٢٩١)

وما ذكره الزَّمَخْشَرِيُّ المعتزلي صحيحٌ؛ وذلك لتوقُّفِ معرفة دلالات الأدلة اللفظية من الكتابِ والسنة، وأقوالِ أهلِ العقد والحل من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة: من جهة: الحقيقة والمجاز، والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم، والاقتضاء والإشارة، والتنبيه والإيماء، وغير ذلك مما لا يعرفُ في غيرِ علم العربية»(٢٩٢).

وقال الحسن البصري:

«أهلكتهم العُجْمَةُ؛ يتأولونه على غيرِ تأويله». (٢٩٣)

وقال شيخُ الإسلام ابن تيميَّة:

«لا بُدَّ في تفسيرِ القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلُّ على مرادِ الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهَم كلامُه؟ فمعرفةُ العربيةِ التي خُوطبنا بها ممَّا يُعين على أن نفقه مرادَ اللهِ ورسولِه بكلامِه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظِ على المعاني؛ فإنَّ عامَّة ضلالِ أهل البدع كان بهذا السبب، فإنَّهم صاروا يحملون كلامَ اللهِ ورسولِه على ما يَدَّعون أنَّه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك». (٢٩٤)

وقال أبو حيان في معرضِ ثنائه على سيبويه:

٢٩١-المفصل؛ للزمخشري (ص٣).

٢٩٢- الإحكام في أصول الأحكام (١ ٨٢٧).

(٢٩٣) خلق أفعال العباد للبخاري، (ج١، ص١٣٠-١٢٥)، وربيع الأبرار، (ج١ص٣٢١).

(٢٩٤) الإيمان (ص١١١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

«فجدير لمن تاقت نفسُه إلى علمِ التفسير، وترقَّتْ إلى التحريرِ والتحبير، أن يعتكفَ على كتابِ سيبويه؛ فهو في هذا الفنِّ المعوَّل عليه، والمستند في حلِّ المشكلات إليه». (٢٩٥)

وقال الزركشي:

«واعلم أنَّه ليس لغيرِ العالم بحقائقِ اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلامِ الله، ولا يكفي في حقِّه تعلم اليسير منها؛ فقد يكونُ اللَّفظُ مشتركًا وهو يعلم أحدَ المعنيين والمراد المعنى الآخر». (٢٩٦)

ولهذا السبب يقول الإمام مالك:

«لا أُوتَى برجلٍ غير عالم بلغةِ العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا». (٢٩٧)

«ولهذا أيضًا نجد التفاسيرَ مشحونةً بالرِّواياتِ عن سيبويه والأخفش والكسائي والفراء وغيرهم، فالاستظهارُ لبعضِ معاني القرآن الكريم وأسرارِه نابعٌ من الاستعانةِ بأقاويلهم، والتشبث بأهدابِ فسْرهم وتأويلهم؛ كما قال الزَّمَخْشَرِيُّ المعتزلي في المفصَّل». (٢٩٨)

وروى أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائلِ القرآن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه -قال:

لأن أعرب آيةً أحب إليَّ من أن أحفظَ آية. (٢٩٩)

---

(٢٩٥) البحر المحيط (١٣).

(٢٩٦)البرهان في علوم القرآن (٢٩٥/١).

(٢٩٧) الإتقان في علوم القرآن (٢٠٩/٤).

(٢٩٨) المفصل (ص:٣).

(٢٩٩) الإشراف في منازل الأشراف، (ج١ ص٤٧٠-٤٦٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وذلك لأنَّ فهمَ الإعراب يعينُ على فهمِ المعنى، والقرآن نزل للتدبرِ والعمل. فمن هذا يتبين أهمية الحاجة لبيان أهم الجوانب اللغوية والبلاغية المتعلقة بآيات القرآن الكريم. (٣٠٠)

وقال مجاهد بن جبر:

"لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب". (٣٠١)

ومن الأهمية بمكان بين يدي هذا المبحث الهام التعرف على المفهوم اللغوي في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: بيان مفهوم اللغة

بيان المفهوم اللُغوي لكلمة "اللغة"

أ-اللُّغةُ: فُعْلَةٌ من لَغَوتُ؛ أي: تَكَلَّمْتُ. وأصلها: لُغْوَةٌ، وقيل: لُغَيٌ أو لُغَوٌ - على وزنِ فُعَلٌ - والهاءُ عوضٌ. وجمعُها: لُغَىً، ولغاتٌ، ولُغُونٌ (٣٠٢).

واللُّغةُ: اللِّسْنُ والنُّطقُ، يقال: هذه لغتُهم التي يَلْغُونَ بها؛ أي: ينطقون (٣٠٣).

ولَغْوَى الطَّيرِ: أصواتُها (٣٠٤).

وهي معجميًا: من (لغا يلغو بكذا، أي: تكلم به) و(لغا يلغو لغوًا: بطل، وألغاه: أبطله)

٣٠٠- يُنظر: عرفة بن طنطاوي-عناية الإسلام بتربية الأبناء في ضوء وصايا لقمان-رسالة ماجستير-تحت الطبع-: (ص:٣٦٤)

٣٠١- الإتقان: (٣٩٦/١).

٣٠٢- لسان العرب، مادة (لغو)، وينظر في جمع لفظ اللغة: العين(٤٤٩:٤).

٣٠٣-المرجع السابق: مادة (لغو).

٣٠٤-المرجع السابق: مادة (لغو).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولدينا هنا معنيان:

: المعنى الأول: لغا بالأمر، أي: تكلم به

والمعنى الثاني: لغا يلغو لغوًا: بطل، أي: أبطله وألغاه

واختُلفَ في أصلِ اشتقاقِ المادَّةِ، فقيل:

١ -أُخذتْ من الْمَيلِ، في قولهم: لَغَا فلانٌ عن الصَّوابِ، إذا مَالَ عنه، قال ابنُ الأعرابيِّ (ت:٢٣١): «واللُّغةُ أُخِذَتْ من هذا؛ لأنَّ هؤلاءِ تكلَّموا بكلامٍ مالُوا فيه عنْ لغةِ هؤلاءِ الآخرين» (٣٠٥).

٢ -أُخِذَتْ من اللَّهْجِ بالشَّيءِ، قال ابن فارس (ت:٣٩٥) (٣٠٦): «... لَغَى بالأمرِ: إذا لَهَجَ به، ويقالُ: إنَّ اشتقاقَ اللُّغةِ منه؛ أي: يَلْهَجُ صاحبُها بها» (٣٠٧).

٣ -وقيل: مصدرُها: اللَّغْوُ، وهو الطَّرْحُ، فالكلامُ لكثرةِ الحاجةِ إليه يُرْمَى به (٣٠٨).

ب-مفهوم اللغة في الاصطلاح

وردَ في تعريفِ اللغةِ اصطلاحًا عِدَّةُ تعريفاتٍ عن العلماءِ، ومن ذلك:

---

[٣٠٥]-لسان العرب، مادة (لغو). وقد نسبها إلى الأزهري في تهذيب اللغة، ولم أجدها في مظنتها.

[٣٠٦]-أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، من أكابر أئمة اللغة، له كتب بديعة، كالصاحبي في فقه اللغة، ومقاييس اللغة وغيرها، وكان من رؤساء أهل السنة المجوِّدين على مذهب المحدثين، توفي بالرَّيِّ سنة (٣٩٥). ينظر: نزهة الألباء (ص:٢٣٥ -٢٣٦)، وإنباه الرواة(١:١٢٧ – ١٣٠).

[٣٠٧]-مقاييس اللغة:(٥:٢٥٦.)

[٣٠٨]-تاج العروس، مادة (لغو).

شبكة الألوكة www.alukah.net

١-عَرَّفها ابنُ جِنِّي (ت:٣٩٢) (١) فقال: «أصواتٌ يُعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهِم» (٣٠٩).

٢- وقال ابنُ حَزْمٍ: (ت: ٤٥٦ :(٣١٠) "ألفاظٌ يُعبَّرُ بها عن المُسَمَّيَاتِ وعن المعاني المرادِ إفهامُها، ولكُلِّ أمةٍ لغتُهم".(٣١١)

٣-وفي تاجِ العروسِ: «هي الكلامُ المصطلحُ عليه بين كُلِّ قبيلٍ» (٣١٢).

وهذه التعريفاتُ مُتقاربةٌ في الدلالةِ على اللغةِ اصطلاحًا، وإن اختلفتْ تعبيراتُ المعبِّرين عنها.

ويُلاحظُ أنهم جعلوا اللُّغةَ الطريقَ الذي يحصلُ به التَّفاهمُ بين اثنين عن طريقِ النُّطقِ بالألفاظِ؛ أي: أنَّ عمدةَ اللُّغةِ الألفاظُ التي يتداولُها القومُ الذين اصطلحوا عليها، بحيثُ لو حُدِّثوا بغيرِها لم يحصل بينهم تفاهم.

وقدْ وردَ استخدامُ السلفِ لمصطلح اللغةِ على ما ذكره العلماء في التعريف الاصطلاحي، وذلك أنهم ذكروا في تفسيرِ بعضِ الألفاظِ أنها «بِلُغَةِ كذا»، مثل ما

---

[٣٠٩]-الخصائص، لابن جني (١:٣٤). ولم أجد من عَرَّفَ اللغة قبل ابن جني، وقد نقله عنه من جاء بعده، ينظر: مادة (لغو) في المحكم لابن سيده، ولسان العرب، والقاموس المحيط.

[٣١٠]-علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، أبو محمد، مؤرخٌ، فقيهٌ، أصوليٌ، متكلمٌ، مشاركٌ في عدة علومٍ، كان وزيرًا، ثم تركها وتفرغ للعلم، وأخذ بمذهب الظاهرية، ونشره، ودافع عنه، وجلب عليه ذلك الحساد، حتى طعنوا عليه في دينه، وأُخرِجَ وطُورِدَ حتى نزل بادية «لبله» من بلاد الأندلس وبها توفي، وله من الكتب: المحلى في الفقه، والناسخ والمنسوخ، وغيرُها، وكانت وفاته سنة (٤٥٦)، ينظر: بغية الملتمس (ص:٤٠٣)، ومعجم المفسرين(١:٣٥١ – ٣٥٢) .

[٣١١]-الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر(١:٥٢).

[٣١٢]-تاج العروس، مادة (لغو).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ورد عن الضَّحَّاكِ (ت:١٠٥) (٣١٣) في قوله تعالى: {كَلاَّ لاَ وَزَرَ} [القيامة: ١١]، حيثُ قال: «يعني: الجبلَ، بلغةِ حِمْيَر» (٣١٤). وغالبًا ما يَرِدُ تعبيرُهم بهذا إذا كان اللفظُ المفسَّرُ نازلاً بغيرِ لغةِ قريشٍ أو لغةِ العربِ، وقد اصطُلِحَ على ما كان بغيرِ لغةِ العربِ بمصطلح: «المُعَرَّب» (٣١٥).

كما وردَ عنهم التعبيرُعن اللغةِ بأنها الكلامُ، ومن ذلك ما وردَ عن ابنِ عباسٍ (ت:٦٨) في قوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر: ٤]، قال: «من الإثمِ، وهي في كلامِ العربِ: نَقِيُ الثِّيابِ» أي: في لغتِهم. (٣١٦).

قال قتادة (ت:١١٧) (٣١٧): «بلغة قومه» (٣١٨).

وقوله تعالى: {وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ} [الروم: ٢٢] قال الطَّبريُّ (ت:٣١٠): "واخْتِلافُ منطقِ ألسنَتِكُم ولُغَاتِكم" (٣١٩).

---

[٣١٣]-الضحاك بن مزاحم الهلالي البلخي، مفسر، وثَّقَهُ الإمام أحمد، وقال الثوري: «خذوا التفسير عن أربعة، وذكر الضحاك منهم»، وهو يروي تفسيرَ ابن عباسٍ مرسلاً؛ لأنَّه لم يلقه، مات بخراسان سنة (١٠٥). ينظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٤:٤٥٨ – ٤٥٩٤٥والثقات، لابن حبان (٦:٤٨٠ – ٤٨١).

[٣١٤]-تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٩:١٣٨)، وينظر: الدر المنثور (٥:٥٠٢)، (٧:١١٩(٨:٤٩٢، ٥٢٦).

[٣١٥]- المُعرَّب: ما قيلَ بأنَّ أصله غير عربي.

[٣١٦]-الدر المنثور (٨:٣٢٦)، وينظر: تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٧:٢٠٢).

[٣١٧]-قتادة بن دعامة السدوسي، البصري، مفسر، حافظ يضرب به المثل في حفظه، روى عن أنس بن مالك وجمع من التابعين، واختص بالحسن البصري، ومن أشهر طرق تفسيره طريق معمر بن راشد وسعيد بن أبي عَروبة، توفي بواسط في الطاعون، سنة (١١٧). ينظر: الجرح والتعديل (٧:١٣٣ -١٣٥)، ومعجم المفسرين (١:٤٣٥ – ٤٣٦).

[٣١٨]-تفسير الطبري، ط: الحلبي(١٣:١٨).

[٣١٩]-تفسير الطبري، ط: الحلبي(٢١:٣١ – ٣٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن ذلك: قولُ ابنِ عباسٍ (ت:٦٨) ـ في تفسيرِ قوله تعالى: {إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات: ٦] ـ قال: "الكَنُودُ بلسانِنا أهلَ البلدِ (٣٢٠): الكفورُ" (٣٢١).

وقولُ سعيدِ بن المسيبِ (٣٢٢) (ت:٩٤): «الماعونُ بلسانِ قريشٍ: المالُ» (٣٢٣).

المطلب الثالث: تعريف التفسير اللغوي:

التفسيرُ اللغويُ: بيان معاني القرآن بما ورد في لغة العرب.

أمَّا الشِقُّ الأولُ مِنَ التعريفِ، وهو بيان معاني القرآن: فإنه عامٌّ يشملُ كُلَّ مصادرِ البيانِ في التَّفسيرِ؛ كالقرآنِ، والسُّنَّةِ، وأسباب النزول، وغيرها.

وبهذا النَّوعِ من البيانِ يخرجُ ما عداه من أنواعِ البيان؛ كالبيانِ الكائنِ بأسبابِ النُّزولِ وقصصِ الآيِ، أو غيرِها مما ليس طريقُ معرفتِه اللُّغةُ. كما يخرج بهذا القيدِ ما كان طريقُ بيانِه بغيرِ لغةِ العربِ، كمن يُفسِّرُ بمدلولاتٍ لا تُعرفُ عند العربِ؛ كالمصطلحاتِ الحادثةِ.

والمرادُ بما وردَ في لغةِ العربِ: ألفاظُها وأساليبُها التي نزلَ بها القرآنُ.

وقد أشارَ إلى هذا الشَّاطِبِيُّ (ت:٧٩٠) (٣٢٤)، فقال: «فإنْ قلنا إنَّ القرآنَ نزلَ بلسانِ العربِ، وإنَّه عربيٌّ، وإنه لا عُجْمَةَ فيه، فيعني أنه أُنزِلَ على لسانِ معهودِ

---

[٣٢٠]-يعني: مكة.

[٣٢١]-الدر المنثور (٨:٦٠٣).

[٣٢٢]-سعيد بن حزن (المسيب) القرشي، روى عن جمع من الصحابة؛ كعمر وعثمان وعلي، وكان من أفقه التابعين، توفي سنة (٩٤)، وقيل غيرها. ينظر: الجرح والتعديل (٤:٥٩ - ٦١)، والثقات(٤:٢٧٣ – ٢٧٥).

[٣٢٣]- تفسير الطبري، ط: الحلبي (٣٠:٣١٩). وينظر في الصفحة نفسها قول الزهري.

شبكة الألوكة www.alukah.net

العربِ في ألفاظِها الخاصةِ وأساليبِ معانيها، وأنها فيما فُطِرتْ عليه من لسانِها تُخَاطِبُ بالعامِّ يُرَادُ به ظاهره، وبالعَامِّ يراد به العَامُّ في وجهٍ والخاصُّ في وجهٍ، وبالعَامِّ يُرادُ به الخاصُّ، وظاهرٌ ويُرادُ به غيرُ الظاهرِ، وكلُّ ذلك يُعرَفُ من أوَّلِ الكلامِ أو وسطِه أو آخرِه ...» (٣٢٥).

ومن أمثلةِ تفسيرِ الألفاظِ، تفسيرُ لفظ "استوى" في قوله تعالى :(ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (يونس: ٣)، قال أبو عبيدة: (ت:٢١٠) (٣٢٦) "مَجَازُهُ: ظَهَرَ عَلَى العَرْشِ وعَلاَ عَلَيه.

ويُقالُ: اسْتَوَيتُ على ظَهْرِ الفَرَسِ، وعلى ظَهْرِ البَيتِ" (٣٢٧).

---

[٣٢٤]-إبراهيم بن موسى الغرناطي المعروف بالشاطبي، الفقيه، الأصولي المحقق، صاحب كتاب الموافقات والاعتصام، توفي سنة (٧٩٠). ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج (ص:٤٦ -٥٠)، وشجرة النور الزكية (١:٢٣١).

[٣٢٥]- الموافقات تحقيق: محيي الدين عبد الحميد (٢:٤٥ -٤٦)، وينظر: الاعتصام، للشاطبي (٢:٢٩٣ -٢٩٤)، ثم ينظر أصل هذا الكلام في كتاب الرسالة، للإمام الشافعي (ص:٥١ - ٥٣)، فقد نقل الشاطبي منه هذا الكلام، وزاد عليه.

[٣٢٦]- معمر بن مثنى البصري، مولى بني تيم، عالِمٌ بالعربيةِ، ومن أكثر الناس رواية لها، وله فيها كتب كثيرة، ومما كتبه في القرآن كتابه المشهور: مجاز القرآن، توفي سنة (٢١٠). ينظر: مراتب النحويين (ص:٧٧ -٧٩)، وطبقات النحويين واللغويين (ص:١٧٥ -١٧٨).

[٣٢٧]-مجاز القرآن (١:٢٧٣).

يوضح الباحث ويقول:

أن تعريف الاستواء هنا إنما عُنِيَ به التعريف اللغوي الذي هو"العلو والارتفاع،"فيكون المعنى اللغوي: ارتفع فوق العرش وعلا فوقه سبحانه وتعالى بدون كيف، فهو علو خاص على العرش يليق بجلال الله تعالى وعظمته.

والله تبارك وتعالى عال على عرشه ومستو عليه، وذلك لأن الاستواء أخص من مطلق العلو، ولذا يجب أن يُعلم أن استواء الله تعالى على عرشه من صفاته تعالى الفعلية التي

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن أمثلةِ تفسيرِ الأساليبِ، تفسيرُ أبي عبيدة (ت:٢١٠) لقوله تعالى: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩١]، قال: «والعربُ تختصرُ الكلامَ ليخفِّفُوه، لِعِلْمِ المستمعِ بتمامِه، فكأنه في تمامِ القولِ: ويقولون: ربنا ما خلقتَ هذا باطلاً» (٣٢٨).

المطلب الرابع: مكانة التفسير اللغوي:

اختارَ اللهُ سبحانه نبيَّه الخاتم محمد بن عبد الله صلّى الله عليه وسلّم عربيًّا، وكان من السَّننِ أن يكون كتابُه بلسانِ قومِه، جَرْيًا على سنَّة الله في إرسالِ الرُّسلِ عليهم السلام؛ كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم: ٤].

وقد جاءَ النَّصُّ على عربيةِ القرآنِ في غيرِ ما آيةٍ، منها:

١ -قولُه تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [يوسف: ٢].

تتعلق بمشيئته تبارك وتعالى، وذلك بخلاف علوه تعالى فإنه من صفاته الذاتية سبحانه وتعالى والتي لا ينفك عنها سبحانه.

وقد صرح بنحو ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله تعالى في شرح حديث النزول حيث يقول رحمه الله:"فإن قيل: فإذا كان إنما استوى على العرش بعد أن خلق السماوات والأرض في ستة أيام فقبل ذلك لم يكن على العرش؟ قيل: الاستواء علو خاص فكل مستو على شيء عال عليه، وليس كل عال على شيء مستويًا عليه، ولهذا لا يقال: لكل ما كان عاليًا على غيره: إنه مستو عليه واستوى عليه، ولكن كل ما قيل فيه: استوى على غيره فإنه عال عليه". أ.هـ. المقصود منه وتمامه فيه". مجموع الفتاوي: حديث النزول: (٥٢٢/٥).

وأهل السنة والجماعة يقولون: إنه تعالى مستو على عرشه استواء يليق بعظمته سبحانه، وأنهبائن من خلقه،ومعنى "بائن من خلقه": أي أنه تعالى ليس حالاً في مخلوقاته سبحانه، وليس هو تعالى داخل شيء من مخلوقاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، ويراد بها نفي الحلول عن الله سبحانه، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبرًا.

[٣٢٨]-مجاز القرآن(١:١١١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٢ -وقولُه تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا} [طه: ١١٣].

٣ -وقولُه تعالى: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: ٢٨].

٤ -وقوله تعالى: {وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ} [الأحقاف: ١٢].

٥ -وقوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف: ٣]، وغيرُ هذه الآياتِ التي نَصَّتْ على عربيَّةِ القرآنِ.

ولما كانَ الأمرُ كذلكَ، فإنه لا يمكنُ العدولُ عن هذه اللُّغةِ التي نزلَ بها القرآنُ إلى غيرِها إذا أُرِيدَ تفسيرُ الكتابِ الذي نزلَ بها؛ لأنَّ معرفةَ معاني ألفاظِه لا تؤخذُ إلاَّ منها.

قال ابن فارس (ت:٣٩٥): «إنَّ العلمَ بلغةِ العربِ واجبٌ على كُلِّ متعلقِمنَ العلمِ بالقرآنِ والسُّنَّةِ والفُتْيَا بسببٍ، حتى لا غَنَاءَ بأحدٍ منهم عنه، وذلك أنَّ القرآنَ نازلٌ بلغةِ العربِ، ورسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم عربيٌ.

فَمَنْ أرادَ معرفةَ ما في كتابِ اللهِ جلَّ وعزَّ، وما في سُنَّةِ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم من كلِّ كلمةٍ غريبةٍ أو نَظْمٍ عجيبٍ، لم يجدْ مِن العلمِ باللغةِ بُدًّا» (٣٢٩).

وقالَ الشَّاطبيُّ (ت:٧٩٠): «لا بُدَّ في فَهْمِ الشَّريعةِ من اتباعِ معهودِ الأمِّيِّينَ، وهم العربُ الذين نزلَ القرآنُ بلسانِهم، فإنْ كانَ للعربِ في لسانِهم عُرْفٌ مُستمِرٌّ فلا يَصِحُّ العدولُ عنه في فَهْمِ الشَّريعةِ، وإنْ لم يكنْ ثَمَّ عُرْفٌ، فلا يَصِحُّ أنْ يُجْرَى في فَهْمِهَا على ما لا تعرفُه، وهذا جَارٍ في المعاني والألفاظِ والأساليبِ» (٣٣٠).

---

[٣٢٩]-الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر (ص:٥٠).

[٣٣٠]-الموافقات، للشاطبي، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد(٢:٥٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويُفهمُ من ذلك أنَّ معرفةَ اللُّغةِ العربيَّةِ شرطٌ في فَهْمِ القرآنِ؛ لأنَّ من أرادَ تفسيرَه، وهو لا يَعْرفُ اللُّغةَ التي نزلَ بها القرآنُ، فإنه لا شَكَّ سيقعُ في الزَّلَلِ، بل سيحرِّف الكَلِمَ عن مَواضِعِهِ، كما حصلَ من بعضِ المبتدعةِ الذين حملوا القرآنَ على مصطلحاتٍ أو مدلولاتٍ غيرِ عربيَّةٍ.

وإليك هذه الأمثلة التي تدلُّ على أثرِ الغفلةِ عن دلالةِ اللَّفظِ، أو جهلِ معناه في لغة العرب:

* أسندَ أبو سليمان الخطَّابي (ت:٣٨٨) (٣٣١) عن مالكِ بنِ دينارٍ (ت:١٢٧) (٣٣٢)،قال: «جَمَعَنَا الحسنُ (٣٣٣) لِعَرْضِ المصاحفِ: أنَا، وأبَا العاليةِ (٣٣٤)، ونَصْرَ بنَ عاصمٍ الليثي (٣٣٥)، وعاصمًا الجحدري (٣٣٦).

---

[٣٣١]-حَمْدُ بن محمد الخطابي (نسبة إلى زيد بن الخطاب)، أبو سليمان، الحافظ، من شيوخه القَفَّال الشافعي، وكان ذا رحلة في طلب العلم، وله تصانيف مشهورة، منها: إعجاز القرآن، وغريب الحديث، وشأن الدعاء، وغيرها، توفي سنة (٣٨٨). ينظر: معجم الأدباء (١٠:٢٦٨-٢٧٢)، وشذرات الذهب(٣:١٢٨).

[٣٣٢]-مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، روى عن أنس وسعيد بن جبير والحسن البصري، وكان يكتب المصاحف بالأجرة، توفي سنة (١٢٧). ينظر: الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٨:٢٠٨)، وغاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري(٢:٣٦).

[٣٣٣]-الحسن بن أبي الحسن (يسار) البصري، أبو سعيد، العابد الزاهد، الفقيه، المفسر، روى عن أنس بن مالك وابن عمر وأبي برزة، توفي سنة (١١٠). ينظر: الجرح والتعديل (٣:٤٠ - ٤٢)، وغاية النهاية في طبقات القراء(١:٢٣٥).

[٣٣٤]-رُفَيعُ بن مِهْرَان الرياحي، البصري، أبو العالية، محدث، مقرئ، مفسر، من كبار التابعين، أسلم بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم بسنتين، له تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري، وتوفي أبو العالية سنة (٩٣)، وقيل غيرها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (١:٢٨٤)، وطبقات المفسرين، للداودي (١:١٧٨ – ١٧٩).

[٣٣٥]-رُفَيعُ بن مِهْرَان الرياحي، البصري، أبو العالية، محدث، مقرئ، مفسر، من كبار التابعين، أسلم بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وسلّم بسنتين، له تفسير رواه عنه الربيع بن أنس

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الحسن: مَهْ يا أبا العالية، ليس هكذا، بلْ الذين سهوا عن ميقاتِها حتى تفوتَهم، قال الحسن: ألا ترى قولَه عزّ وجل: {عَنْ صَلاَتِهِمْ}». (٣٣٧).

فقال رجلٌ: يا أبا العاليةَ، قوله تعالى في كتابِه: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون: ٤، ٥] ما هذا السهوُ؟ .

قال: الذي لا يدري عنْ كَمْ ينصرفْ، عَنْ شَفْعٍ أو عن وِتْرٍ؟.

وإنما وقعَ أبو العالية (ت:٩٣) في ذلك، لأنَّه جعلَ دلالةَ الحرفِ «عن» بمعنى «في»، ولم يُفرِّقْ بينهما، قال أبو سليمان الخطَّابي (ت:٣٨٨): «وإنما أُتيَ أبو العاليةِ في هذا حيثُ لم يُفَرِّقْ بَيْنَ حرف «عن» و «في»، فَتَنَبَّهَ له الحسنُ فقالَ: ألا ترى قوله: {عَنْ صَلاَتِهِمْ} يؤيدُ أنَّ السَّهْوَ الذي هو الغلطُفي العَدَدِ إنما يَعْرُضُ في الصَّلاةِ بعدَ ملابستِها، فلو كانَ هذا هوَ المراد لقيلَ: في صلاتِهم ساهون، فلما قال: {عَنْ صَلاَتِهِمْ} دَلَّ على أن المرادَ به الذهابُ عن الوقت» (٣٣٨).

* ومِنَ الأمثلةِ التي تَدُلُّ على الوقوعِ في الزَّلَلِ والتَّحريفِ:

ما وقع لعَمْرِو بنِ عُبَيْدٍ (ت:١٤٤) (٣٣٩). قالَ ابنُ خالويه (ت:٣٧٠) (٣٤٠): «كان عمرو بنُ عبيدٍ يُؤتى من قِلَّةِ المعرفةِ بكلامِ العربِ ... وقدْ كانَ كَلَّمَ أبا عمرو

البكري، وتوفي أبو العالية سنة (٩٣)، وقيل غيرها. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري (١:٢٨٤)، وطبقات المفسرين، للداودي(١:١٧٨ – ١٧٩).

[٣٣٦]-عاصم بن أبي الصباح الجحدري، البصري، أخذ القراءة عرضاً على سليمان بن قتة عن ابن عباس، وثقه ابن معين. ينظر: الجرح والتعديل (٦:٣٤٩)، وغاية النهاية(١:٣٤٩).

[٣٣٧]-إعجاز القرآن، للخطابي (ص:٣٩).

[٣٣٨] إعجاز القرآن، للخطابي (ص:٣٩).

[٣٣٩]-عمر بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري، المعتزلي، الزاهد، روى عن الحسن البصري وأبي قلابة، وهو متروك الحديث، وكان مُعَظَّماً عند أبي جعفر المنصور، وحُكِيَ

شبكة الألوكة www.alukah.net

بن العلاء (٣٤١) في الوعدِ والوعيدِ، فلم يُفَرِّقْ بينهما، حتَّى فَهَّمَه أبو عمرو، وقالَ: ويحك، إنَّ الرَّجلَ العربيَّ إذا وعدَ أنْ يُسِيءَ إلى رجلٍ، ثُمَّ لم يفعلْ، يقالُ: عَفَا وتكرَّمَ، ولا يقالُ: كذب.

وأنشد (٣٤٢):

وإني إن أوَعَدْتُهُ أو وْعَدْتُهُ ... لَمُخْلِفُ إيعَادِي ومُنْجِزُ مَوعِدِي» (٣٤٣)

عنه أقوالٌ شنيعة. توفي سنة (١٤٣). ينظر: المنية والأمل (ص:٣٨ -٤١)، وميزان الاعتدال(٣:٢٧٣-٢٨٠)

[٣٤٠]-الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، من كبار أهل اللغة، لَقِيَ ابن الأنباري وابن مجاهد وأبا عمر الزاهد وابن دريد، وصحب سيف الدولة الحمداني، وأدَّب بعض أولاده، ومن كتبه المطبوعة: كتاب ليس، وهو كتاب نفيس، وإعراب القراءات السبع وعللها، توفي سنة (٣٧٠). ينظر: طبقات الأدباء (ص:٢٣٠ -٢٣١)، وإنباه الرواة عن أنباء النحاة(١:٣٥٩ -٣٦٢)

[٣٤١]-الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، من كبار أهل اللغة، لَقِيَ ابن الأنباري وابن مجاهد وأبا عمر الزاهد وابن دريد، وصحب سيف الدولة الحمداني، وأدَّب بعض أولاده، ومن كتبه المطبوعة: كتاب ليس، وهو كتاب نفيس، وإعراب القراءات السبع وعللها، توفي سنة (٣٧٠). ينظر: طبقات الأدباء (ص:٢٣٠ -٢٣١)، وإنباه الرواة عن أنباء النحاة(١:٣٥٩ – ٣٦٢).

[٣٤٢]-ينظر البيت في جمهرة اللغة (٢:٦٦٨)، والصحاح واللسان، مادة (وعد).

[٣٤٣]-إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن العثيمين = (1:54)، وينظر: طبقات النحويين واللغويين، للزبيدي (ص:٣٩ -٤٠). وقد أخرج هذا الأثرَ الخطيبُ البغدادي بسنده في تاريخ بغداد (١٢:١٧٥ -١٧٦)، فقال: «عن الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء، فقال: يا أبا عمرو، يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ؟ قال: لا! قال: أفرأيت إن وعدَ على عملٍ عقاباً يخلف وعده؟ فقال أبو عمرو بن العلاء: من العجمة أُتِيتَ يا أبا عثمان. إن الوعد غير الوعيد، إن العرب لا تَعُدُّ خُلْفاً ولا عاراً أن تَعِدَ شراً ثم لا تفعله، وترى إن (كذا) ذلك كرماً وفضلاً، وإنما الخُلْفُ أن تَعِدَ خيراً ثم لا تفعلُه. قال: فأوجدني هذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

* وقد حَكَى أبو حاتم السِّجِسْتَانِيُّ (ت:٢٥٥) (٣٤٤)، عن الأخفشِ النحويِّ البصريِّ (ت:٢١٥) (٣٤٥) أنه فسَّرَ قولَه تعالى: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} [الأنبياء: ٨٧] من القُدْرَةِ

(٣٤٦) قال الأزهري (ت:٣٧٠) (٣٤٧): «قال [أي: أبو حاتم]: ولم يدرِ الأخفشُ مامعنى نَقْدِرْ، وذهبَ إلى موضعِ القُدْرَةِ، إلى معنى: فَظَنَّ أنْ يَفُوتَنَا (٣٤٨).

في كلام العرب. قال: أما سمعت إلى قول الأول :لا يَرْهَبُ ابنُ العَمِّ ما عِشْتُ صَولَتِي ... ولا أَخْتَشِي من خَشْيَةِ المُتَهَدِّدِ

وإني وإنْ أَوْعَدْتُهُ أو وَعَدْتُهُ ... لَمُخْلِفُ إيعَادِي ومُنجِزُ مَوعِدِي» ا. هـ=

[٣٤٤]-سهل بن محمد، أبو حاتم السجستاني، البصري، اللغوي، روى عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد والأخفش، وكان ابن دريد يعتمد عليه في اللغة، ولم يكن حاذقاً في النحو، توفي سنة (٢٥٥). ينظر: أخبار النحويين البصريين، للسيرافي (ص:١٠٢ -١٠٤)، وطبقات النحويين واللغويين، للزبيدي (ص:٩٤ -٩٦).

[٣٤٥]-سعيد بن مسعدة، أبو الحسن الأخفش، النحوي، البصري، المعتزلي شرح كتاب سيبويه، وكان مُعَظَّمًا عند البصريين والكوفيين، له مع الكسائي إمام أهل الكوفة قصة في الانتصار لسيبويه، واتخذه الكسائي بعدها مُعَلِّماً لولده، وله من الكتب: معاني القرآن، وهو مطبوع، توفي سنة (٢١٥). ينظر: مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي (ص:١١١ -١١٢)، طبقات النحويين واللغويين (ص:٧٢ -٧٤).

[٣٤٦]- تهذيب اللغة (٩:٢٠)، وعبارة الأخفش في كتابه معاني القرآن، تحقيق: هدى قراعة (٢:٤٤٩): "أي: لن نقدر عليه العقوبة".

[٣٤٧]-محمد بن أحمد، أبو منصور الأزهري، اللغوي، الشافعي، أخذ عن نفطويه، وابن السراج، ولم يلق الزجاج ولا ابن الأنباري، وروى عنهما في كتابه الشهير: تهذيب اللغة، وكان قد لحقه الإسار بسبب اعتداء القرامطة على الحجيج سنة (٣١١)، وكان في سهم أعراب من البادية، وقد استفاد من مخالطتهم في تدوين =اللغة، وقد ذكر ذلك في كتابه، ومما ألَّفه أبو منصور: كتاب علل القراءات، وهو مطبوع، وتوفي سنة (٣٧٠). ينظر: تهذيب اللغة (١:٦ -٧)، ومعجم الأدباء (١٦٤:١٧ -١٦٧)، والبُلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص:١٨٦ -١٨٧) .

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يعلمْ كلامَ العربِ، حتى قال: إنَّ بعضَ المفسرين قال: أرادَ الاستفهامِ: أفظنَّ أنْ لنْ نقدرَ عليه (٣٤٩).

ثم قال الأزهري (ت:٣٧٠): «... والمعنى: ما قَدَّرَهُ اللهُ عليه من التَّضيِيْقِ في بطنِ الحوتِ، ويكونُ المعنى: ما قَدَّرَهُ اللهُ عليه من التضييق؛ كأنه قال: ظنَّ أن لن نُضَيِّقَ عليه، وكل ذلك شائعٌ في لغةِ العربِ، واللهُ أعلمُ بما أرادَ.

فأمَّا أنْ يكونَ قولُه: {أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} في (٣٥٠) القُدْرَةِ فلا يجوزُ؛ لأنَّ منْ ظَنَّ هذا كَفَرَ، والظَنُّ: شَكٌّ، والشَّكُّ في قُدْرَةِ اللهِ كُفْرٌ، وقد عَصَمَ اللهُ أنبياءه عن مثلِ ما ذهب إليه هذا المتأوِّلُ. ولا يتأولُه إلا الجاهلُ بكلامِ العربِ ولغاتِها» (٣٥١).

---

[٣٤٨]-حكى الطبري في تفسير، ط: الحلبي (١٧:٧٩) هذا القول، فقال: «وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظن أنه يُعجِزُ ربه فلا يقدر عليه»، ثم أورد روايةً عن سعيد بن أبي الحسن (ت:١٠٠)، وأخيه الحسن البصري (ت:١١٠)، والقاضي إياس بن معاوية (ت:١٢٢). ولم يظهر لي مناسبة هذه الروايات لهذا القول الذي ترجم به. ثم ذكر ترجيحه، وردَّ على ما سواه، فقال: «وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عَنَى به: فظنَّ يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه، عقوبةً له على مغاضبته ربه. وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة، لأنه لا يجوز أن يُنسب إلى الكفر، وقد اختاره لنبوته، ووَصْفُه بأنه ظنَّ أن ربه يعجز عما أراده به ولا يقدر عليه، وَصْفٌ له بأنه جَهِلَ قدرةَ الله، وذلك وَصْفٌ له بالكفر، وغير جائز لأحد وَصْفُهُ بذلك.«

[٣٤٩]-ورد ذلك عن ابن زيد كما في تفسير الطبري، ط: الحلبي (٧:٧٩)، وقد رَدَّه الطبري، فقال: «وأما ما قاله ابن زيد، فإنه ـ لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام ـ حسنٌ، ولكنه لا دلالةَ فيه على أنَّ ذلك كذلك، والعربُ لا تحذفُ من الكلامِ شيئاً لهم إليه حاجة إلا وقد أبقتْ دليلاً على أنه مرادٌ في الكلامِ، فإذا لم يكن في قوله: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} دلالةٌ على أن المراد به الاستفهامُ كما قال ابن زيد، كان معلوماً أنه ليس به.«...

[٣٥٠]-نقل ابن منظور في كتابه لسان العرب هذا الموضع عن الأزهري، وجاء فيه: «من القدرة»، بدلاً عن: «في القدرة»، وهذا أصحُّ وأوضحُ للعبارة، ولعل الذي في التهذيب سبق قلم من ناسخ المخطوطة، أو من الطابع، والله أعلم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

* قال الأخفشُ (ت:٢١٥) في قوله تعالى: {إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣]: «يعني، واللهُ أعلمُ، بالنَّظرِ إلى اللهِ: إلى ما يأتيهم من نِعَمِهِ ورِزْقِهِ، وقد تقولُ: واللهِ ما أنظرُ إلاَّ إلى اللهِ وإليك؛ أي: أنتظرُ ما عند اللهِ وعندك» (٣٥٢). (٣٥٣)

---

[٣٥١]-تهذيب اللغة(٢١:٩).

[٣٥٢]-معاني القرآن، للأخفش، تحقيق: هدى قراعة (٢:٥٥٨)، والمعروف أنَّ الأخفش كان معتزلياً (ينظر مقدمة الدكتورة هدى قراعة لكتابه: ١:١٦ - ١٨)، وسيأتي تفصيلُ ذلك في الكلامِ عن كتابِه في مصادر التفسير.

هذا، ولم أجد من نصَّ على هذا التأويل في هذه الآية قبل الأخفش، سوى مجاهدٍ وأبي صالح (ينظر الرواية عنهما في تفسير الطبري: ط: الحلبي: ٣٠:١٩٢ - ١٩٣)، ومن فقه الإمام ابن جرير أنه أورد ـ بعد الروايات عن مجاهد ـ أثر مجاهد عن ابن عمر، فيه النصُّ على رؤية الله سبحانه، وكأنه يشير إلى مخالفة مجاهد لشيخه ابن عمر، والله أعلم. ولم أجد سببًا يدعو مجاهدًا وأبا صالحٍ لهذا التأويل الغريبِ.

وقد ورد في «غريب القرآن» (ص:٣٥٩) المنسوب لزيد بن علي (١٢٠) ما نصُّه: «ناظرة: منتظرة للثواب، قال الإمام زيد بن علي عليهما السلام: إنما قوله: {نَاظِرَةٌ}: إلى أمر ربها، ناظرة من النعيم والثواب». ولا يوثق بهذا النقل عن زيد بن علي رحمه الله؛ لأن الواسطي راوي الكتاب كذاب، وستأتي الإشارة إليه في الحديث عن كتب غريب القرآن.

هذا، وقد تتابع المعتزلة على هذا التأويل كما هو ظاهر من كتبهم، مثل:

*القاسم بن إبراهيم الرسي (ت:٢٤٦) في كتاب التوحيد والعدل (ضمن رسائل في التوحيد والعدل، أخرجها: سيف الدين الكاتب)، ينظر: (ص:٢٦٠ -٢٦١).

*القاضي عبد الجبار (ت:٤١٥) في كتابه متشابه القرآن، تحقيق: عدنان زرزور) ٢:٦٧٣ - ٦٧٤).

*الزمخشري (ت:٥٣٨) في كتابه الكشاف(٤:١٩٢).

ومن المعلوم أن أهل السنة يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، خلافًا للمعتزلة ومن سار على دربهم في هذه المعتقد الفاسد ألا وهو إنكار الرؤية وتأويلها بالثواب والنعمة ونحو ذلك.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الخامس: بيان أهم القواعد المقررة في التفسير اللغوي

وهي على نحو ما يلي:

أولًا: أن تُفَسَرَ الآيات بالمعاني التي كانت معروفة عند العرب وقت نزول القرآن، حقائق كانت أو مجازات.

.كل تفسير ليس له أصل في لغة العرب فهو مردودثانيًا:

.ثالثًا: كل تفسير لغوي وارد عن السلف يُحكم بعربيته، وهو مقدم على قول اللغويين

.رابعًا: وجوب حَمْلِ كلام الله على الأشهر والأفصح من كلام العرب

.خامسًا: الالتزام بفهم القرآن من خلال معهود العرب في الخطا

.كل كلام نُطِقَ به، مَفهومٌ به ما أُرِيدَ، ففيه الكفاية عن غيرهسادسًا:

.سابعًا: وجوب مراعاة أصل الوضع في التركيب، ولا يخرج من ذلك إلا بحجة واضحة

.ثامنًا: وجوب مراعاة السياق

تاسعًا: أن يكون الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناء على أنَّ العرب إنَّما كانت عنايتها بالمعاني وإنَّما أصلحت الألفاظ من أجلها.

. عاشرًا: لا يُعبأ بالمعنى الإفرادي إذا كان المعنى التركيبي مفهومًا

.حادي عشر: عدم اعتقاد معنى ما وحمل ألفاظ القرآن الكريم عليه

.ثاني عشر: إذا وَرَدَ أكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد، جاز تفسير الآية به.

.ثالث عشر: ليس كل ما ورد في اللغة يلزم وجوده في القرآن

.رابع عشر: إذا كان الكلام يحتمل الحقيقة والمجاز، قُدِمَتْ الحقيقة

.لا يجوز العدول عن الظاهر إلا بقرينةخامس عشر:

---

[٣٥٣]-ينظر: التفسير اللغوي للقرآن، د. مساعد الطيار: (٣٣/١) وما بعدها فقد استقى الباحث التعريف اللغوي وتلك المقدمة من هذا البحث الماتع، غفر الله لكاتبه.

شبكة الألوكة www.alukah.net

سادس عشر: الوقوف على الأغراض البلاغية، وملاحظة التنوع في النظم والتأمل في سرّ تراكيب الجملة القرآنية.

.الكشف عن مفاهيم الصيغ الصرفية وقواعد الاشتقاق وعلاقتها بالمعنىسابع عشر:

.ثامن عاشر: إدراك ارتباط الفاصلة بما قبلها في الآية القرآنية والجزم بكونها مقصودة من حيث لفظها وخاتمتها. (٣٥٤)

كل ذلك مع مراعاة عدم اعتماد اللغة دون غيرها من أنواع التفسير المعتمدة.

كما ينبغي أن يُعلم كذلك أنه ليس هناك ثم أي تعارض بين التفسير اللغوي وبين أي نوع من أنواع التفسير المعتمدة كذلك.

يُختم الكلامُ بلطيفة مهمة للإمام الشافعي حيث بقول رحمه الله تعالى:

"فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك". (٣٥٥)

وفي ختام هذا المبحث الهام ألا وهو مبحث مصادر التفسير عند أهل السنة والجماعة والتي هي:

٣٥٤-ضوابط التفسير اللغوي-عن موقع أهل التفسير- وقد جمعها محمد عمر الضرير وذكر أنه أفاد في جمعها من عدة مصادر ومراجع منها: الرسالة للشافعي، وجامع البيان للطبري، والإتقان للسيوطي،والبرهان للزركشي، والموافقات للشاطبي، وكيف نتعامل مع القرآن للغزالي، والاختلاف في التفسير حقيقته وأسبابه لوسيم فتح الله، والتفسير اللغوي للدكتورالطيار، والشاهد الشعري للدكتور الشهري، ومدخل إلى علوم القرآن لفاروق حماده، وتفسير النصوص لمحمد أديب صالح، ودراسة الطبري للمعنى للمالكي، وبعض محاضرات السنة الثانية في وحدة الدرس القرآني بمكناس، للأستاذين. محمد السيسي، وعبد الرحمن حسي". بتصرف من الباحث.

٣٥٥-الرسالة للإمام الشافعي صـ٨٤

شبكة الألوكة www.alukah.net

١-تفسير القرآن بالقرآن

٢-تفسير القرآن بالسنة

٣-تفسير القرآن بأقوال الصحابة

٤-تفسير القرآن بأقوال التابعين

٥-تفسير القرآن باللغة العربية وعلومها

و"يراد: بمصادر التفسير: المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله، وهذه المصادر هي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين وتابعيهم، واللغة، والرأي والاجتهاد. وإنما قيل: «المراجع الأولية»؛ لئلا تدخل كتب التفسير؛ لأنها تعتبر مصادر، ولكن الحديث هنا ليس عنها. وقد اصطلح شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) على تسميتها بـــ (طرق التفسير)، ذكر منها أربعة، وهي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين في التفسير (٣٥٦). وجعلها بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) مآخذ التفسير، وذكر أمهاتها، وهي أربع: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الأخذ بقول الصحابة، ثم الأخذ بمطلق اللغة، ثم التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع (٣٥٧).

ومما ينبغي التنبيه إلى أن هذا المنهج لابد في اتباعه من مراعاة جانب الأولوية بحيث لا ينتقل المفسر من مصدر تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة إلى

---

[٣٥٦]-يُنظر: البرهان في علوم القرآن، ج٢، ص١٥٦-١٦٤.

[٣٥٧]-شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته في: (أصول التفسير)، (ت: عدنان زرزور)، (ص٩٣)، ويُنظر كذلك: مصادر التفسير-مقال للدكتور مساعد الطيار-عن موقعه الرسمي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المصدر الذي يليه وهو تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهمإلا إذا لم يجد فيه بُغيته، ولا ينتقل من هذا المصدر إلى المصدر الذي يليه وهو تفسير القرآن بأقوال التابعين إلا بعد التأكد كذلك بأنه لا يوجد له تفسير فيه، وهكذا حتى المصدر الخامس والأخير من مصادر التفسير ألا وهو تفسير القرآن باللغة وعلومها.

فيبدأ أولًا في تفسير القرآن بالقرآن؛ فالقرآن يفسر بعضه بعضًا.

وفي نحو ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير ؟ فالجواب:إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر."(٣٥٨)

وتفسير القرآن بالسنة.

ولا يُقال ثم تفسير القرآن بالسنة بل يُقال "بواو المصاحبة" وبالسنة، والسبب في ذلك أن للسنة حجية مثل حجية القرآن في الاستدلال والبيان والتفسير، لا من جهة الإعجاز والتحدي والبيان ولغيرها مما اختص به كلام الله جل في علاه، ولقدابعث الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم مبلغا ومبينا لما في القرآن كما قال الله تعالى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل:٤٤).

ولعموم حديث الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

"أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا،

---

[٣٥٨]-مقدمة في أصول التفسير: (ص:٩٣)

شبكة الألوكة www.alukah.net

وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ (١) ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ، فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ". (٣٥٩)

قال الخطابي رحمه الله:

(قوله: أوتيت الكتاب ومثله معه يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما أن يكون معناه أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو مثل ما أعطي من الظاهر المتلو، ويحتمل أن يكون معناه أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى، وأوتي من البيان أي أذن له أن يبين ما في الكتاب ويعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس له في الكتاب ذكر فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به كالظاهر المتلو من القرآن . وقوله: يوشك شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فإنه يحذر بذلك مخالفة السنن التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضُمنت بيان الكتاب فتحيروا وضلوا، والأريكة السرير، ويقال أنه لا يسمى أريكة حتى يكون في حجلة وإنما أراد بهذه الصفة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم ولم يغدوا ولم يروحوا في طلبه في مظانه واقتباسه من أهله ."

وفى الحديث دليل على أنه لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب وأنه مهما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حجه بنفسه، وأما ما رواه بعضهم أنه قال "إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه وإن خالفه

[٣٥٩]-صحيح رواه أحمد في المسند (٢٨ / ٤١٠) (١٧١٧٣) وأبو داود في سننه (٤ / ٢٠٠) (٤٦٠٤) وغيرهما، ويُنظر: عون المعبود -شرح سنن أبي داود-كتاب السنة-باب في لزوم السنةحديث رقم: (٤٦٠٤): (ص:٢٧٨)،وصححه الألبانيفي صحيح ابن ماجة: (١٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فدعوه"فإنه حديث باطل لا أصل له. وقد حكى زكريا بن يحيى الساجي عن يحيى بن معين أنه قال هذا حديث وضعته الزنادقة). (٣٦٠)

ويُضرب هنا مثالٌ على ما سبق ذكره:

ألا وهو: ماثبت عند البخاري في تفسير قوله تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)(البقرة:١٨٧). فعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ : " يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ، أَهُمَا الْخَيْطَانِ ؟ قَالَ: (إِنَّكَ لَعَرِيضُ الْقَفَا إِنْ أَبْصَرْتَ الْخَيْطَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لاَ، بَلْ هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ). (٣٦١)

ومتى بلغنا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم، لآية أو لفظة من القرآن: وجب علينا الالتزام به، والوقوف عنده.

وقد يُفهم التفسير من سنته صلى الله عليه وسلم؛ من خلال أفعاله وأقواله وتقريراته.

فالسنة جاءت مبينة للقرآن ؛ فالله تعالى أمرنا بالصلاة والزكاة والحج والحدود ... الخ ، والنبي صلى الله عليه وسلم من خلال سنته - من أفعال وأقوال - فصلّ لنا ما المقصود بهذه الألفاظ.

فإن لم يجد المفسر في القرآن ولا في السنة تفسيرا لآية ما، نظر في أقوال الصحابة.

التفسير المأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم وتفسيرهم مقدم على تفسير غيرهم؛ لأن تفسيرهم إمّا أن يكونوا قد أخذوه عن النبي

---

[٣٦٠]-معالم السنن للخطابي: (٢٩٩/٤)

[٣٦١]-البخاري: (٤٥١٠)

شبكة الألوكة www.alukah.net

صلى الله عليه وسلم، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه قال: " كان الرجل منَّا إذا تعلَّم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهُنَّ، والعملَ بهنَّ ". (٣٦٢)

وقد يكون تفسيرهم اجتهادًا ورأيًا؛ فاجتهادهم مقدم على اجتهاد من بعدهم؛ لأنهم صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم، واطلعوا على أحوال نزول آيات القرآن، كسبب النزول ومكانه، وعاصروا الواقع الذي نزل فيه القرآن، وعرفوا أحوال أهله، ولأنهم أفهم من غيرهم للغة التي نزل بها القرآن، وأعمق علمًا، وأقل تكلفًا، وأبعد من غيرهم عن الزيغ والزلل، في علومهم، وأعمالهم.

وفي نحو ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

" وحينئذ؛ إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعت في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التي اختُصُّوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم .. " . (٣٦٣)

وقول الصحابة في التفسير مقدم على قول غيرهم، إلا إذا اختلفوا فهنا يجتهد المفسر في الترجيح بين أقوالهم.

التفسير بالمأثور عن التابعين:

فإذا لم يجد المفسر في أقوال الصحابة ما يفسر به الآية، فإنه ينظر في تفسير التابعين؛ الذين تلقوا علومهم عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فهم في أحوالهم،وأقوالهم،وأعمالهم، وزمانهم -أيضًا، بطبيعة الحال -أقرب إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وهديهم، وعلومهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

[٣٦٢]- وهذا الأثر وإن تُكُلِمَ فيه فقد رواه الطبري في تفسيره (٨٠/١) وقد صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى

[٣٦٣]-مقدمة في أصول التفسير: (ص:٩٥)

شبكة الألوكة www.alukah.net

" إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ... ".(٣٦٤)

وقال رحمه الله – أيضًا -:

"ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، كما قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها، ولهذا قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، ولهذا يعتمد على تفسيره: الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم". (٣٦٥)

فإذا اتفق علماء التفسير من التابعين على قول في معنى آية، فلا إشكال في لزوم الأخذ به، وأما حين يختلفون، فليس قول أحدهم حجة على قول الآخر، كما أن قول الواحد منهم ليس حجة مطلقًا، وإنما ينظر فيه وفي حجته، ويستأنس به، ويرجع إليه.

قال العلامة الفقيه شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى:

" ولا ريب أن التابعين يختلفون؛ فالذين تلقوا عن الصحابة التفسير: هؤلاء لا يساويهم من لم يكن كذلك.

ومع هذا، فإنهم إذا لم يسندوه عن الصحابي، فإن قولهم ليس بحجة على من بعدهم إذا خالفهم، لأنهم ليسوا بمنزلة الصحابة، ولكن قولهم أقرب إلى الصواب، وكلما قرب الناس من عهد النبوة، كانوا أقرب إلى الصواب ممن بعدهم . وهذا شيء واضح، لغلبة الأهواء فيما بعد، ولكثرة الواسطات بينهم وبين عهد الرسول عليه

---

[٣٦٤]-المرجع السابق: (ص:١٠٢)

[٣٦٥]-المرجع السابق: (ص/٣٧)

شبكة الألوكة www.alukah.net

الصلاة والسلام، فبُعدهم هذا لا شك أنه يقلل من قيمة أقوالهم، ومن هنا نعرف أن الرجوع إلى قول من سلف أمر له أهميته". (٣٦٦)

تفسير القرآن باللغة وعلومها:

فإذا لم يجد المفسر في أقوال التابعين ما يفسر به آية ما لجأ إلى لغة العرب التي نزال بها القرآنولغة العرب هي لغةالصحابة رضي الله عنهم، وهم خير من فهم الخطاب الإلهي؛ لأن الله قد أنزله بلغتهم، وهم مع معاصرتهم نزول القرآن وسعة مداركهم في فهم آياته، فإنهم مع ذلك كله قد يفسروا الآية بلغتهم إن لم يجدوا ذلك التفسير في مظانه ومصادره الأولى ألا وهي القرآن والسنة، ودلائل ذلك كثيرة جدًا وقد مر معنا أمثلة على ذلك في طيات بحثنا هذاوهي أكثر من أن تحصى.

وختامًا:

فإذا كان هذا المبحث الهام ألا وهو مبحث: "مصادر التفسير" قد ذكر بشيء من التفصيل في مقدمته، والتي هي فحوى الموضوع، وذكر في خاتمته مقتضبًا ومختصرًا، فإن المقدمة كانت كالديباجة، والخاتمة كانت كإعادة هذا المبحث الهام مختصرًا في نقاط وكلمات وعبارات محدودة جدًا كتنبيه أخير ومختصر جدًا لما سبق بيانه.

والحمد لله رب العالمين.

---

[٣٦٦] -شرح مقدمة التفسير: (ص /١٤٠، ويُنظر: التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي-مقال عن موقع: الإسلام سؤال وجواب.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المركز في سطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه.

وبعد:

فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تُعدُ علومُ القرآن من أجلِّ العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا لها أكثر احتياجًا على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني آي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفًا مرومًا، وعلوَ قدرٍ وشأنٍ، ورفعةَ مكانةٍ، وسموَ رتبةٍ؛ إذْ جعلَهم اللهُ مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأماني، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلو همةٍ وإقبالِ نفس لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، ويُنزّل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشآبيب الرحمة، مع ما يورثه ربُهُ من انشراحٍ لصدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفؤاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحلل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوبٍ سهل التناول قريب المأخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلّها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تفنيد العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة.

* تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عمومًا وللباحثين المختصين خصوصًا؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجلّ كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج الغوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المطهر بصلة، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجًا، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

المشرف العام

من إصدارات المركز

موسوعة
" تأصيل علوم التنزيل"

وَهذه ضِمْن مُؤَلَّفَاتِ العَبدِ الضَعيفِ الفَقيرِ إلى عَفْوِ رَبِّه وَرَحْمَتِه وَمَغْفِرَتِه:

عرفة بن مصطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرآنِيةِ

وها هي مرتبة على النحو التالي:

١- **مَعَالِمُ التَّوْحِيدِ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ**. (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه)
(مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٤١هـ)

٢- **عِنَايَةُ الإِسْلَامِ بِتَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ كَمَا بَيَّنَتْهَا سُورَةُ لُقْمَانَ**، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)

٣- **التقرير لأصول وقواعد علم التفسير** - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٤- **تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين** - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٥- **المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٦- **المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٧- **دلائل التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٨- **الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيِّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ** في (مجلدين) وهذا البحث يعُد موسوعة علمية مستقلة.

٩- **أَحْسَنُ المَنَاحِي فِي إِثْبَاتِ أَنَّ الرَّسْمَ العُثْمَانِي تَوْقِيفِي لاَ اصْطِلاَحِي**

١٠- **الفتح الرباني في دلائل الإعجاز البياني** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١١- **صِيَانَةُ كَلَامِ الرَّحْمَنِ عَنْ مَطَاعِنِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالرَّوَغَانِ** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٢- **موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٣- **الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ فِي خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيزِ**

١٤- **جَنَى الخُرْفَةِ في إبطال القول بالصَرْفة** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٥- **آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي إِعْجَازِ القُرْآنِ فِي إِخْبَارِهِ عَنِ المُغَيَّبَاتِ (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)**

١٦- **التِّبْيَانُ فِي بَيَانِ وُجُوهِ الإِعْجَازِ التَّشْرِيعِيِّ فِي القُرْآنِ**

١٧- **إيجاز القول في الإعجاز**

١٨- **التحدي في القرآن**

١٩- **صَحِيحُ المَنْقُولِ المُوَافِقُ لِصَرِيحِ المَعْقُولِ فِي مُنَاقَشَةِ ثَلَاثَةِ تَفَاسِيرَ رُتِّبَتْ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُولِ.**

٢٠- **البُرْهَانُ فِي حَقِيقَةِ حُبِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَأَصْحَابِهِ لِلقُرْآنِ**

٢١- **إِتْحَافُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِدِرَاسَةِ الجَمْعِ الصَّوْتِي لِلقُرْآنِ** "الجَمْعُ الرَّابِعُ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ"- تَارِيخٌ- وَأَحْدَاثٌ - وَقَائِعُ- وَأَحْكَامٌ - "دِرَاسَةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ"

٢٢- **آفَاتٌ وَمُعَوِقَاتٌ فِي طَرِيقِ التَّسْجِيلِ الصَّوتِي لِلقُرآنِ**

٢٣- **بُلُوغُ المَرَامِ فِي قِصَّةِ ظُهُورِ أَوَّلِ مُصْحَفٍ مُرَتَّلٍ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ**

٢٤- **تَوْجِيهُ أَهْلِ الإِيمَانِ لِضَوَابِطِ تَسْجِيلِ القُرْآنِ**

٢٥- **الكَوَاشِفُ الجَلِيَّةُ فِي حُكْمِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالمَقَامَاتِ المُوسِيقِيَّةِ**

أو: فصل النزاع بين التغني بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"

٢٦- **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**

٢٧- **التَّبصِرَة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٢٨- **تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلْبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٢٩- **كَشْفُ الوَقِيعَةِ فِي بُطْلَانِ دَعْوَى التَّقْرِيبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ**

٣٠- **التَّقِيَّةُ أَسَاسُ دِينِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ**

٣١- **قَطْعُ العَلَائِقِ لِلتَّفَكُّرِ فِي عُبُودِيَّةِ الخَلَائِقِ**

٣٢- **الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور-بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٣٣- (**التوحيد من الكتاب والسنة**) (مفهومه ومعناه-حقائقه وفضائله-دلائله ونواقضه)

٣٤- **دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل.** (إياك نعبد وإياك نستعين)

٣٥- **ألطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف:** (المنعم عليهم- المغضوب عليهم - الضالين)

٣٦- **أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان**

وغيرها من البحوث - قيد التنسيق- .

مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية